# تاريخ الدول السرياني

## تأليف ابي الفرج الملطي

نقلم الاب اسحق ارملة السرياني

**للسريان**

غريغوريوس ابن العبري السرياني المشهور عند العرب بأبي الفرج الملطي ( ١٢٢٦—١٢٨٦ ) ثلاثة مؤلفات تاريخية دقيقة محكمة في العربية والسريانية ١ — « تاريخ مختصر الدول » في العربية نشره عام ١٨٩٠ الاب انطون صالحاني اليسوعي في المطبعة الكاثوليكية وصدره بمقدمة لخص فيها اخبار المؤلف . ٢ — تاريخ بيعي في مجلدين طبع نصه السرياني مع ترجمة لاتينية عام ١٨٧٢ — ١٨٧٧ في لوفان . ٣ — تاريخ الدول العام نشر اولا نصه السرياني عام ١٧٨٩ مشحوناً بالأغلاط ثم تولى طبعه عام ١٨٩٠ الاب بولس بيجان الكلداني المرسل اللعازري الطيب الآثار .

ويشتمل هذا التاريخ الدولي على ٦٠٠ صفحة كبيرة حوت اخبار احدى عشرة دولة بدءا من الآباء الاقدمين فالقضاة فملوك العبرانيين فملوك الكلدانيين فملوك ماداي فملوك فارس فملوك اليونان الوثنيين فملوك رومية فملوك اليونان المسيحيين فملوك العرب فملوك الهونيين اعني التتر او المغول .

نقل ابو الفرج الملطي تلك الاخبار والسير والوقائع عن مؤرخين معاصرين اثبات او شهود عيان بدءا من يوسيفوس اليهودي واوسابيوس القيصري ( ٢٦٥ — ٣٤٠ ) وزكريا البليغ ٤٩٠ ويوحنا الافسوسي ٥٨٥ وثوفيل بن توما الرهاوي المارونى ٧٨٥ والبطريرك ديونيسيوس التلمحري ٨٤٥ وابي الحسن ثابت بن قره الصابي ٩٠٠ واغناطيوس الملطي ١٠٩٠ وميخائيل الكبير ١٢٠٠ والمؤرخ الرهاوي ١٢٣٤ الخ . وقد أحصى ميخائيل المشار اليه ٢٤

مؤرخاً سريانياً كتبوا بلغتهم السريانية اخباراً وحوادث عمومية وخصوصية وذكروا وقائع مهمة خطيرة قلّما ذكرها غيرهم ولا سيما ما تعلّق بحوادث النصارى وقياصرة قسطنطينية الذين واصلوا محاربة العرب واسترجاع البلاد الشرقية من يدهم غير مرّة . وتبادلت الدولتان رسائل معتبرة لم يذكرها سائر المؤرخين .

نسج ابو الفرج على منوال المؤرخين اسلافه فروى اخباراً جمة عن الروم والعرب وعن نصارى لبنان وسوريا وما بين النهرين والعراق والعجم ومصر الخ لم يسردها في تاريخه العربيّ المذكور تخوّفاً او تزلّفاً . واستغرقت هذه الاخبار وحدها ٤١١ صفحة من الصفحة ٩٥ حتى الصفحة ٥٠٦ اعني ثلاثة ارباع تاريخه هذا

ذلك ما حدانا على نقل تاريخه هـذا الفريد الى العربية بدءا من اخبار الحقبة العاشرة وعنوانها « الملوك العرب » ندرجها تباعاً على صفحات المشرق كيما يطّلع القرا. على حقائق تاريخية جمة غالباً ما تأتي مكتملة لرواية المؤرخين بالعربية وسننشر تعريب التاريخ برمّته في كتاب خاصّ تعميماً لفوائده بحوله تعالى وعليه الاتكال في البداية والنهاية .

## الحقبة العاشرة

## الملوك العرب

[ص ٩٥] من هنا تبتدئ الحقبة العاشرة المتناولة من الملوك اليونان الى الملوك العرب

في السنة الثانية عشرة لهرقل بدأ ظهور محمد . ومن هذه السنة كذلك يبدأ تاريخ العرب القمري وهي السنة ٦١٣٠ لآدم و١٣٣ لليونان و٦٢٢ لمخلصنا .

ففي السنة الاولى للعرب دوّخ شهربَراز أنقرة . وفي السنة التالية احتل رودس . وفي السنة الرابعة للعرب حاصر هو وقرديجان قسطنطينية ووصلت جنودهما الى تراقية وحلّوا في ناحية قسطنطينية الغربية وضايقوها جدًّا ثم انكشفوا عنها بغتة . ذلك لان كسرى لمّا بلغه ان شهربراز يسخر به مدّعيا ان الغلبة عليهُ بعث الى قرديجان ليحتزّ راسه فقبض الروم على الرسول وأخبروا هرقل فارسل يستدعي اليه شهربراز سرًّا وأمنه بقسَم ؛ ولمّا دخل شهربراز ولج الرسول والرسالة وعرف الحقيقة احتال فبدّل الرسالة واضاف اليها : ان يُقتَل ثلاثانة زعيم كذلك مع شهربراز . ثم خرج بها وقرأها على مسامع قرديجان والجنود وقال لقرديجان : هل يطيب لك ان تفعل هذا ؟ انما الزعما. فسخطوا واستهزأوا بكسرى وهادنوا هرقل وعرضوا عليه اولادهم بمثابة رهائن توثيقاً لشروط الهدنة [٩٦] وارتحلوا .

وبعث هرقل الى الخاقان ملك الخزَر ليوجّه اليه اربعين الف عسكري فيزحف بهم الى العجم . ووعده ان يزفّ اليه ابنته اودكسيا . ولمّا عرف كسرى ان شهربراز انتقض عليه وانّ هرقل زاحف الى بلاده صفُرت نفسه وفُتّ في عضدهِ فحشد ما تيسّر له من العساكر وولّى عليهم رزبيهان. فاصطدم العجم بالروم فانكسر العجم وقُتل رزبيهان . وبلغ الخبر كسرى فانهزم من البلدة التي كان فيها ، فتتبعه هرقل واحتوى على خزائنه واملاكه . امّا شيرين ابنهُ وكان ابوه كسرى قد طرحه في السجن فقد خرج وأدرك أباه وفتك به وملك بعده تسعة شهور .

وعاد هرقل الى الرها ليشتي فيها وأرسل اليه شيرين تخبره بقتل ابيه وعقد

الصلح معه على ان يُخرج العجم من بلاد الروم . وملك شيرين تسعة شهور وهات . وخلفه اردشير سنةً واحدةً وعشرة شهور . واردشير هذا فتك به شهربراز الذي كان عند هرقل وملك مكانه . وأيد ما سبق فأبرمه من العهود والشروط مع هرقل .

وفي السنة السادسة للعرب انكسف نصف جرم الشمس وثبت كسوفها مذ تشرين الاوّل الى حزيران حتى قال الناس ان جرمها لن يعتدل . وحدث في فلسطين وباء أهلك ربوات من البشر .

## فصل

ذكر المؤرّخون أن الملك هرقل لمّا ادركته عساكر العرب واحتلّت البلاد جمع كلّ الاساقفة ورؤساء الكهنة وسائر الزعماء واستفسرهم عن كيف ومَن هم اولئك العرب . فاجابه كلّ منهم حسب معرفته واطّلاعه . ولمّا افضى الأمر اليه قال : اني اشاهد هذا الشعب باعماله واشكاله وديانته كفجر عميق مكفهرّ ليس فيه ظلام تامّ ولا نور بهيّ كامل . فسألوه شرح العبارة فقال : أجل انهم بعيدون [٩٧] عن الظلام لانهم رفضوا عبادة الاوثان وعبدوا الله الواحد . ولكن نورهم غير كامل لانهم بعيدون عن نور ايماننا المسيحيّ وليسوا راسخين في الدين القويم . فاستحسن القوم كلامه .

## خبر ديانة العرب التي ظهرت في هذا الزمان

لمّا كان محمّد فتىً صغيرًا توفي ابوه عبدالله . فربّاه عمّهُ ابو طالب وزوّجه بامرأة ارملة غنيّة يقال لها خديجة . فجعل يتاجر بمالها وعلى جمالها مسافرًا من يثرب وطنه الى فلسطين وشاهدها مخصبةً بالخيرات . فجعل يحادث بعض اليهود وتلقن منهم انهم لاعتقادهم بالله الواحد ونبذهم عبادة الاوثان منحهم الله عزّ شانه أرض الميعاد . فارتاح محمد الى حديثهم وجعل يرشد ابناء وطنه الى ذلك وهو في السنّ الاربعين . وما ان بلغ أعيان مكّة انه يروم انشاء ديانة غريبة حتى طردوه وهدّدوه بالقتل ان لم يكفّ عن تعليمه . غير ان اهل المدينة خرجوا الى لقائه ورحّبوا به ووعدوه بالمساعدة في كل شيء ولذا دُعوا

أنصاراً . ولقنهم محمد عقيدة الاله الواحد والإعراض عن عبادة الآلهة الباطلة. وحرّضهم على طهارة الجسد والوضوء. لان العرب كانوا يومئذ غاية في القذر. ثم انتقى منهم مشايعين وغزاة بعثهم الى فلسطين وسار معهم غير مرة فظفروا وعادوا سالمين حاملين مالاً ورزقاً ومن ثم تبعوه بكل قلبهم . وسمع كثيرون غيرهم اخبار النصر والغنى فخضعوا له دون عناء . ولمّا ازداد اصحابه عدل عن الذهاب معهم للغزو وجعل يرسل من يترأس على عساكره ويقيم هو في مدينته معزّزاً [ ٩٨ ] . والذي كان يرفض عقيدته لم يكن يخاطبه بالبرهان بل بالسيف.

اما الموالون له فلم يكتف بان يؤكد لهم التمتع بالشهوات البدنية وان ينكح الرجل نساء حرّات وسراري ويطلّق امرأته وينكح غيرها ويكتفي بالصوم شهراً في السنة نهاراً فقط والأكل طول الليل حتى الفجر بل كان يقول : ان الله عزّ وجلّ قد أعدّ لابناء مذهبه بعد القيامة في العالم المزمع انهار عسل وابن وخمر واشجاراً حافلة بالثمار الشهية واتكاء على سُرُر ذهبية وفُرُش بطائنها استبرق . ونكاح نساء يَفقن الشمس جمالاً .

وعاش محمد بعد نبوته عشرة اعوام وشهرَين. وتسلسلت دولته من واحد الى واحد ونمت واتّسعت واحتلّت أغلب بلاد الروم والمملكة الفارسية برمّتها. وقام فيها فلاسفة ورياضيّون واطباء. فاقوا الاقدمين بدقيق المعاني وأسسوا مبادئهم الحكمية السامية طبقاً للعلوم اليونانية وأفرغوها في عبارات بليغة ومباحث دقيقة حتى اننا نحن الذين عنّا اخذوا الحكمة على يد نَقَلة كأنهم سريان أصبحنا مفتقرين الى أخذ الحكمة عنهم . ولقد توسّعوا في تصانيف الشرع كقوانين الزواج والحقوق والطهارات وكيفية الصلوات وكمية الزكاة وضروب التجارات والقروض وتوزيع المواريث واعتاق العبيد توسّعاً فوق الحدّ حتى ان الواحد اذا صرف كل زمن حياته في دراستها لا يتيسر له في كل عمره ان يُلمّ الماماً تاماً بكل الاسئلة والاجوبة التي تنطوي عليها .

وقد حصل بينهم اختلافات شتى بحيث ان محمداً قال فيما ذكروا : ان أمتي تنشعب سبعين شعبة لا تخلص منها الّا شعبة واحدة وسائرها للنار . واراد بالشعبة الواحدة تلك التي تتشيّع طبقاً لاعماله وسائر الشعب تلك التي تبتدع

البدع. ومنهم من اختلفوا في أمر المملكة كالذين يقرّرون ان الرئاسة الاولى بعد نبيّهم انما تحقّ لعليّ ابن عمه وصهره [٩٩] ولابنائه من بعده. ومنهم فريق يقرّرون ان الرئاسة الاولى انما تحقّ للشيخ ابي بكر حميه والرابعة لعليّ. واختلف بعضهم في مسئلة الدين كالذين يزعمون ان الله عزّ وعلا جسم وانه مستوٍ على مركبة جسمانية هي اكبر من السما. والارض. وقال بعضهم انه تعالى غير متجسم وان الصدّيقين يعاينونه في القيامة بعيون بشريّة. وقال بعضهم انه عزّ وجلّ يتكلم بكلمة ازلية قائمة بذاتها وانه حيٌّ حياةً ازلية. واضطرّ بعضهم ان يقولوا انه تعالى يتكلم لكن لا باللفظ وانه حيٌّ لكن لا بالحياة: ذلك تفادياً من القول باقنومية المسيحيّين ومن الاعتقاد بان كلمة الله وروحه هما عرضيّان وزمنيّان. وزعم غيرهم ان الله سبحانه وتعالى قد خلق الخاطئ ليرتكب الاثم ويحترق في جهنم. وخلق البارّ ليتبرّر ويتمتع في الفردوس دون ان يُقال له لماذا؟ وان الانسان ليس حرًّا مستقلًا. واثبت فريق ان الانسان حرّ وفقًا لعقيدة المسيحيين.

هذا ولئلّا نشرد عن موضوع كتابنا نعود الى هدفنا. وبما ان الدولة العربية قامت مقام الدولة الرومية في بلادنا فقد نظمنا طبقًا لها ما وقفنا عليه من الحوادث سواء أكان بالمطالعة ام بالسماع.

## بعد محمد ابو بكر

تولّى سنتين. ووجّه اربعة ضبّاط الى فلسطين والى مصر والى فارس والى العرب النصارى. فالذي وصل الى فلسطين قصد قيسارية فلقيه سرجي البطريق في جيش جمعه من الروم ومن السامريّين يبلغ زهاء خمسة آلاف راجل والتحم القتال بين العرب والروم فتشدّد العرب وحاربوا اولًا السامريّين. ولمّا رأى البطريق انكسار من معه ولّى هارباً. فتتبّع العرب الروم وسحقوهم سحق الحصّادين للسنابل. وسقط سرجي البطريق عن حصانه واجتمع غلمانه فاركبوه فسقط فاركبوه ثانية فسقط مرّة ثالثة وحاولوا ان يركبوه ايضاً فقال لهم: دعوني أُقتل وحدي وانجوا انتم بانفسكم [١٠٠] لئلّا تُقتلوا معي. ثم أدركه

العرب وفتكوا به وانقلبوا منصورين . وقد جرى مثل ذلك للذين توجهوا الى سائر الاطراف واستحوذ الرعب على جميع الملوك .

وفي تلك الغضون انتزح العجم عن مصر وعن فلسطين وعن سائر بلاد الروم . ووجه شهربراز الى هرقل واستصحب عسكرًا وقتل قرديجان وملك مكانه سنة واحدة وقُتل . وخلفتهُ بارام ( يوران ) ابنة كسرى بضعة اشهر وتوفيت . وملكت اختها زديودخت بعدهـا . وتولّى العجم عدّة ملوك في مدّة سنتين .

وفي هذا الزمان عاد الرهاويون الذين كان كسرى قد جلاهم . وخالف هرقل الناموس واقترن ببرطينا ابنة اخيه وولدت له ابنًا غير شرعي سمّاه هرقلونا . وفي شهر ايلول حدثت زلزلة وظهرت في السما علامة سارت من الجنوب الى الشمال شكل نشّابة واستمرّت ثلاثة ايّام ممّا دلّ دلالةً واضحة على انتصار العرب .

## بعد ابي بكر عُمَر بن الخطّاب

تولّى عشر سنوات . وبعث جيشًا الى بلاد العرب فاحتلّ البصرة . وبعد سنة سيّر جيشًا آخر الى العجم وكانوا مختلفين بعضهم مع يزدجرد بن كسرى وبعضهم مع هرمزد فتغلّب عليهم العرب وقُتل هرمزد وملك يزدجرد .

امّا هرقل فوجّه الى العرب جيوشًا مع اخيه ثاودوريقي ولمّا وصلوا الى جوسيت قريبٍ بضواحي انطاكية شاهدوا راهبًا عموديًا خلقيدونيًا قال لثاودوريقي : عاهدني بان تحو اتباع سويرا وانا اضمن لك الغلبة . فقال له ثاودوريقي : اني مصمّم ان اضطهد اليعاقبة خلافًا لقولك . ولمّا دنا الروم من العرب خيّموا قريبًا منهم واصطفّ الفريقان للقتال وجعل العرب يقطّعون الروم بقطيع اغصان منبوذة ويطأونهم وانهزم بقيّتهم . فنهب العرب ذخائرهم واغتنموا بما صادفوه من ذهب وفضّة وعبيد وماشية .

وفي السنة الرابعة لعمر [ ١٠١ ] اتّفق بآنيس قائد الروم وابن شهربراز الفارسيّ الذي انضمّ الى الروم على اثر قتل ابيه واتّفق معهما كذلك مندوب الملك في الرها فحشدوا ستين الف فارس وناوشوا العرب في بلد حمص فانكسر

الروم وهلك منهم اربعون الفاً واختنق اغلبهم في نهر اليرموك . ونجا شهربراز فاوفد الى عمر أن امددني بالعساكر فأخضع لك العجم . غير ان بنات كسرى وكان العرب قد سبوهنّ أخبرن عمرًا بما صنعه شهربراز وابنه بكسرى واولاده وقلنَ له : لا تغترّ بكلامه لانه غدّار . ولمّا اطّلع عمر على كلامهنّ ارسل الى حمص فعلّق ابن شهربراز على خشبة وانطلق الى دمشق وأمّن اهاليها الدمشقية ففتحوا له الابواب . ووجّه من هناك خالدًا في جيش الى حلب وانطاكية ، وهلك خلق كثير .

وسار العرب الى دير مار سمعان العموديّ وكبسوا الرجال والنساء والفتيان والفتيات وهم محتشدون يوم العيد وسبوهم قاطبةً .

وخرج في تلك الاثناء سعد من يثرب وخيّم بظاهر الكوفة وسيّر يزدجرد جيوشاً حالوا على الفرات . وأرسل العجم جاسوساً عربيًا ليجسّ العرب . فلما دنا منهم شاهد رجلًا معدّيًا يتغوّط وهو يأكل خبزًا . فقال له الجاسوس باللغة العربية : ماذا تعمل ؟ قال المعدّي : كما ترى أخرج عتيقًا وأدخل جديدًا . عاد الجاسوس واخبر العجم يقول : رأيتُ شعباً حافياً عرياناً لكنّه شجاع . وقصّ على القائد ما سمعه وشاهده وقال له : ان نصرتهم هي من الله . ولمّا التحم القتال انكسر العجم وتتبّعهم العرب حتى قطسفون على نهر دجلة . وانّ رجلًا معدّيًا طارد قائدًا اعجميًا كبيرًا وهزمه فوصل القائد الى قرية قريبة وأخفاهُ فلّاحٌ هناك وشاهد المعديّ عرياناً يطارد وبيده قصبة لا غير [ ١٠٢ ] فعاد الى الاعجميّ وهزأ به وقال له : كيف انهزمتَ وانت مدجّج بهذا السلاح من رجلٍ عريانٍ ولم ترجع لتأخذ رأسه ؟ فقال الاعجميّ للفلّاح : هاتِ مأساً فجاءه به فصوّبه وثقبه وقال : هكذا رشقتُ المعدّي الذي رأيته فكان يجمع السهام في كمّيه كمن يجمع ذبأناً .

وجهّز يزدجرد جيشاً ثانياً وزحف الى قتال العرب على الفرات فانتصر العرب ودخلوا قطسفون واحتووا على ذخائرها واهاليها . وهيّأ يزدجرد جيشاً ثالثاً في جلولا وزحف ليقاتل العرب فانكسر كذلك . وحشد جيشاً رابعاً في جبل ماداي وهجم على العرب فتحطّم . وقد تمّ هذا الزحف اربع مرّات

في سنة واحدة . ولمّا خارت قوى يزدجرد انهزم الى حدود الترك ببلد سجستان واختفى ثمّ خمس سنوات وقُتل . وانقضى امر الدولة الفارسيّة الساسانية وكان اوّل ملوكها اردشير بن بابك عام ٥٣٨ لليونان وآخرهم يزدجرد عام ٩٥٦ لليونان (٢٢٧–٦٤٥ م) .

وبنس هرقل كذلك فارتحل عن انطاكية الى قسطنطينية وهو يقول : «سوزو سوريا» اعني الوداع ياسورية . ووجّه جنوده فسلبوا المسيحيّين الوطنيين كلّ ما صادفوه سلباً فاق سلب العرب . وكتب هرقل الى جميع الروم في بلاد ما بين النهرين ومصر وارمينية بان لا يحاربوا العرب بل يظلّ كلٌّ منهم محتفظاً بحاميته متربصاً في مكانه

وارتحل حين ذاك عمر الى مصر وخرج الى لقائه قورا اسقف الاسكندرية وتكفّل بان يؤدي له كل سنة مائتي الف دينار بشرط ان لا يدخل العرب مصر . فرضي عمر بذلك . ولمّا سمع هرقل ظنّ انه يؤدي المال للعرب طوعاً فأوفد رجلاً ارمنيّاً يقال له منوئيل ليستدرك الامر . ولمّا اقبل وفود العرب ليقبضوا الذهب اعترضهم منوئيل وهو في المعسكر ببابابلونيا وهي الفسطاط[١٠٣] وقال لهم : انا لستُ نظير قورا لابساً قبحاً فادفع لكم ذهباً لكنّي مدجج بالسلاح . ولمّا عاد الوفود الى عمر فارغين تخوّف منوئيل وانهزم فدخل العرب مصر واحتلّوها .

وفي السنة الخامسة عشرة للعرب (٦٣٦ م) شخص عمر الى فلسطين وخرج الى لقائه صفرونيوس اسقف اورشليم واخذ الأمان لكلّ البلد . وكتب له عمر عهداً ذكر فيه انه لا يحلّ لليهوديّ ان يقيم في اورشليم . ودخل عمر المدينة وأمر ان يُبنى فيها مسجد للصلاة مكان هيكل سليمان . ولمّا شاهد الاسقف عمرًا لابساً ثياباً وسخة الحّ عليه ليتقبّل منه ثوباً ورداء جديداً احضرهما اليه فلم يرضَ . لانه كان عادلاً منزّهاً عن الطمع . وعلى احتوائه على خزائن العجم والروم كلّها فانه لم يبدّل عباءته القديمة .

ثم سرّ عمر بدن سورية واحتلّها بأسرها . وعبر الفرات الى المشرق وخرج

الرهاويون وأخذوا الأمان لمدينتهم . امّا تلّ موزل ودارا فقد احتلّها عنوةً لان اهاليها لم يتساهلوا معه وقتل مَن فيهما من الروم .

وفي السنة التاسعة عشرة للعرب أمر عمر ان تُكتب جميع بلاد مملكته بالجزية . وتوفي هرقل عام ٩٥١ لليونان ( ٦٤٠ م ) وخلفه قسطنطين الثالث ابنه الكبير باربعة اشهر فسقته مرطينا امرأة ابيه سمًّا وقتلته وملّكت ابنها هرقلونا الصغير ويقال له داود الجديد . فامتعض اقطاب الدولة وعزلوه وملّكوا قسطس ابن القتيل وهذا قسطس نتل عمّيه كليهما ومرطينا امرأة هرقل . واستغرق ملك عمر اثنتي عشرة سنة . وان غلاماً صقّالاً شكا اليه مرارًا مولاه فلم يكترث له عمر فطعنه الغلام في جوفه بكين وهو يصلي فقضى .

## بعد عمر عثمان

تولّى اثنتي عشرة سنة وجعل يطمع ويحشد الذهب لنفسه فتألّب العرب ليقتلوه فوعدهم [ ١٠٤ ] ان يسير على مثال أسلافه فأغمضوا عنه . ثم أرسل ابنه سعيدًا ليلحق يزدجرد ملك العجم وكان مختفياً في سجستان منذ خمسة اعوام ثم خرج واقبل الى الكوفة فوصل سعيد الى مرو بعدما فرغ من اجتلال بلاد العجم كلها . وخاف يزدجرد الوقوع بين يديه فاختفى في طاحونة وفتك به رجل تركيّ هناك .

وفي تلك الاثناء زحف معاوية قائد العرب وحاصر قيسارية فلسطين بحرًا وبرًّا حصارًا شديدًا من اوّل كانون الاول حتى ايار . وطرح العرب اثنتين وسبعين منجنيقاً على سورها ولم يخرقوه . فحفروا طريقاً ضيقًا ودخلوها . وارتقى بعضهم سلالم ظلوا بها ثلاثة ايام ولم يستطيعوا الهبوط الى المدينة . ولما اشتد ساعد العرب تجفّل سبعة آلاف رومي كانوا يحرسون المدينة وانهزموا في السفن . واحتوى معاوية على ما بها من المال وضرب الجزية على اهاليها .

وسار العرب من هناك الى قيليقية ووصلوا بنتةً الى اوخيطا واستولوا على ابوابها واضطرّوا زعماءها ان يطلبوهم على الخراش ثم استاقوا الاهالي قاطبةً رجالًا ونساء وفتياناً واستعبدوهم ودنّسوا الكنائس واقترفوا القبائح فيها .

وفي السنة ٢٥ للعرب وهي السنة ٩٥٨ لليونان ( ٦٤٧ م ) انتقض غريغوريوس

بطريق افريقية على قسطس الملك . ودخل العرب افريقية متلصصين واحتلوا مدن ساحل البحر كلها سوى البطريق فلم يقووا عليه وعاد فادى الطاعة لقسطس . ثم قسم معاوية جيوشه قسمين وولى على الاول رجلا سريانيا شريرا يقال له حبيب وسيره الى ارمينية في فصل الشتاء فدخلها وسبى العرب اهاليها وقتلوا من صادفوا من الرجال واحرقوا القرى ورجعوا . اما القسم الثاني فزحف به معاوية الى قيسارية قبادوقية . ولما عبر العرب الثغور شاهدوا القرى خصبة فنهبوها ونازلوا قيسارية عشرة ايام فامتنعت عليهم [ ١٠٥ ] فأفسدوا ضواحيها وتركوها قفرا . وانقلبوا راجعين . ثم كرروا الزحف وحاربوا اياما كثيرة . ولما استفظع اهالي قيسارية سخط العرب ولم يساعدهم احد طلبوا الامان وتكفل الزعماء بتأدية الجزية . فدخل العرب وشاهدوا ابنية جميلة وثروة وافرة فندموا على أيمانهم ولم يتيسر لهم ان يحنثوا فيها . ثم توجهوا الى عموريسة فلم يقووا عليها فعاثوا في ضواحيها الحافلة بالاشجار .

وفي السنة ٦٦٠ للميونان ( ٦٤٩ م ) عبّى معاوية العساكر وهيأ الفا وسبعمائة سفينة وأجر من الاسكندرية الى جزيرة قبرس وأرسل الى اهاليها ليطلبوا الأمان فرفضوا . فدخل العرب مسلحين وقاتلوا ونهبوا وارتكبوا المنكرات حتى في الدار الاسقفية وانصرفوا . وبعد قليل سار ابو الفور القائد الثاني الى قبرس ثانية ونهبها بأسرها وكان العسكر يخرجون الاهالي من الشراديب . ثم اغاروا على فاماغوس وحاصروها واحتووا على ما بها من ذهب وفضة ولم يتعرضوا للاهالي لانهم طلبوا الأمان . ثم نازل معاوية جزيرة ارواد واحتلها وأخرج اهلها وقوضها كي لا تعمر فيما بعد .

وفي السنة ٦٦٥ للميونان ( ٦٥٤ م ) احتل ابو الفور جزيرة قو بدها استقفها وغزا وسلب وقتل اهاليها وقوض قلعتها . وانتقل الى اقريطش وغزاها وذهب الى رودس وحاربها وتالب الكثيرون فالقوا جالا ضخمة في الصنم النحاسي ودكوه ووزنوا منه ثلاثة آلاف حمل نحاس قرنثي اشتراها تاجر يهودي حمصي .

وفي السنة ٦٧ للعرب أعدّ معاوية السفن للذهاب الى قسطنطينية فنهض رجلان طرابلسيان واغريا أصحابها فاحرقوا سفن العرب وهلك الكثيرون [ ١٠٦ ]

من العرب وركب من بقي السفن وانهزموا الى بلاد الروم . فسخط معاوية ووجه ابا العور في جيش الى مكان يقال له فونيقي ولما وصلوا اليه صادفوا قسطس الملك واخاه ثئودوسيوس واستعدّوا للقتال في الغد . وفي تلك الليلة رأى قسطس في حلمه انه في تلونيقي واخبر مفسّر الاحلام فقال له : ليتك ايها الملك لم تنم ولم تحلم هذا الحلم . لان تلونيقي يُراد بها : اعطِ النصر للآخرين . فاستحقر الملك ذلك التفسير وجهّز السفن للقتال فانكسر الروم وكاد يُقتل الملك عينه لو لم يطفر ابن بقناطور الى السفينة الملكية وينقل الملك الى سفينة غيرها وينقذه . وظلّ هو في تلك السفينة واعلك كثيرين ثم هلك هو كذلك . اما الملك قسطس واخوه فانهزما الى العاصمة . وشوهد زهاء عشرين الف جثة من الروم عائمة فوق المياه .

وتحفز العرب للزحف تكرارًا الى قسطنطينية . وخرج فطولماوس وأدّى لهم ذهباً وعقد معهم صلحاً لثلاث سنوات . اما قسطس فقد قتل اخاه ثئودوسيوس فحقد عليه الجنود فخاف وانطلق الى رومية وابتقرّ هناك . فثار ثائر الجنود وقالوا : كلّا لا يوافقنا ان يقيم الملك في رومية لانها بعيدة عن العرب . فاقبل الملك الى جزيرة صقلية ولما وصل الى سراقوسة استطاب الاقامة بها وبعث في طلب بنيه . فاغتاظ الاهالي وقالوا : اننا لن نترك ملوكنا ينتزحون عنّا . غير ان قسطس اقام بنيه الثلاثة قسطنطين وطيباريوس وهرقل ملوكاً وأسكنهم في العاصمة وظلّ هو في سراقوسة خيفة ان يفتك به جنوده . وكانوا يسمّونه قايين الثاني .

اما عثمان فلم يكفّ عن سوء عاداته فاحتشد [ ١٠٧ ] العرب وبلّغوه ان يسلك سلوكاً معتدلاً كاسلافه فقال لهم : اني افعل كل ما اريد لاني ملك . فانصرفوا عنه متنمّرين ثم هجموا عليه مسلحين يقولون له : غيّر سيرتك او تموت حالًا . فكتب عثمان الى معاوية يستنجده . بيد ان العرب بادروا فوثبوا اليه وثبة عنيفة وقتلوه . وسيّر معاوية الجنود مع حبيب ويبلوغهم الى البصرة سمعوا بقتل عثمان فكرّوا راجعين .

## بعد عثمان عليّ بن ابي طالب

تولّى خمس سنوات في يثرب وفي بابل فقط . لان سورية ومصر كانتا مع معاوية . وفي السنة ٩٦٨ للبرنان ( ٦٥٧ م ) اصطدم الفريقان معاً وهلك الكثير من الجانبين وعاد معاوية ولم يلاقِ عليّاً . ثم اصطدما تكراراً وباد الكثير كذلك في المعركة . وحين ذاك اتفق ثلاثة من الزعماء على ان يزحفوا ويفتكوا بالثلاثة الذين بسببهم انتشبت الحرب بين العرب وهم عليّ ومعاوية وسعيد القائد في مصر . فقُبض على الذي سار الى مصر وقُتل . وقُتل كذلك الذي سار الى معسكر معاوية . اما الثالث فظفر بعليّ وطعنه بزراق وقتله . وعندئذٍ اتفق العرب شرقاً وغرباً مع معاوية فنقل المملكة من يثرب الى دمشق .

## بعد عليّ معاوية

تولى تسع عشرة سنة وساس فلسطين ايام عثمان خمس عشرة سنة وايام عليّ خمس سنوات ومجموعها تسع وثلاثون سنة . وفي السنة ٩٧٧ للبرنان ( ٦٦٦ م ) خلع شابور قائد رومانية الطاعة لقسطنطين ووجّه الى معاوية رجلاً اسمه سرجي يقول اضرب لي عهداً فأخضع لك رومانية كلها . وكان قسطنطين في العاصمة فلما بلغه الامر وجّه هو كذلك الى معاوية اندرأا الخصيّ حاجبه وكان محنكاً في الحروب [١٠٨] .

دخل اولاً سرجي طبقاً لامر معاوية ثم دخل اندرأا . فتخوّف سرجي ونهض فانحنى لاندرأا . فردعه معاوية وقال له : اذا كان العبد خوّفك فما كنتَ تصنع لو شاهدتَ مولاه ؟ قال سرجي : لقد اضطرّتني العادة لا الخوف فصنعتُ ما صنعتُ . فقال معاوية لاندرأا لماذا جئتَ ؟ قال سيّدي الملك لاحذّرك من هذا المتمرّد الخدّاع . لانه ان كان قد جازى مولاه وولي نعمته جزاء سيئاً فما يكون جزاؤه لك ؟ قال معاوية : انكما كلاكما عدوّان لنا فأيكما زاد لنا الجزية راعيناه . قال اندرأا : لئن كان ذلك كذلك فمن العدوّين من هو افضل وليس العبد والمولى على حدّ سوى . لان المولى يتصرّف في الامور باوفر حريّة وافضل لياقة بخلاف العبد فانه يعيش خانعاً وجلاً ذليلاً .

إذَن ما يؤدّيه مولاي ولو كان اقلّ مما يقرّره الطاغي يلزمك ان ترضى به وتكف عن مضايقته بالسرة . قال اندرأا ذلك وانصرف .

وفي الغد بكر سرجي وأقبل ولما وافى اندرأا لم ينهض سرجي فقال له اندرأا : عَلامَ لم تنهض يا ايها الآيس ؟ فانتفع سرجي وقذف اندرأا قذف الخنثى . فتهدّده اندرأا بنزع خصيتيه . ثم قال معاوية لاندرأا : أدّوا لنا الجزية عن بلدكم كله وحَسبكم اسم المملكة لا غير والّا فانصرف . فاخذت النخوة اندرأا وقال : إذَن العرب ثم الجرم والروم هم الخيال ؟ كلّا . ان لنا الله عزّ شأنه فاليه مرجعنا . قال هذا وخرج متوجّهاً نحو ملطية وأمر حماةَ الثغور ان يكمنوا لسرجي في مروره . اما معاوية فوعد سرجي ان يمدّه بالجيش ولما عاد سرجي قبض عليه الكمناء وأتوا به الى اندرأا فأمرهم ان ينزعوا خصيتيه ويضعوهما في يديه ثم يشنقوه .

اما شابور فقبل وصول الجيش العربيّ اليه ضُغط في باب داره وهو راكبٌ ومات . فغزا [١٠٩] العرب البلاد حتى خلقيدونية وكنّوا .

وفي السنة ٩٨١ للروبان ( ٦٧٠ م ) أصدر قسطنطين الأمر الى جميع الروم ان يخضعوا له ولاخويه طيباري وهرقل معاً وان تُحفر على الدراهم صُوَر ثلاثتهم . وحذّر الجميع من ان يُلقوا ما بينهم شقاقاً وانطاق الى غالية وايطالية وأخضع جميع الامم الغربية .

اما العرب فزحفوا الى افريقية وسبوا زهاء ثمانين الف نسمة . وفي القابل سبوا كذلك لوقية وقيليقية ثم انقلبوا الى لوقية فادركهم ثلاثمة من بطارقة الروم ودحروهم واتلفوا من العرب نحو ثلاثين الفاً وقصد بقيتهم السفن فازعجتهم الانوا . وان فجّاراً بعلبكيًّا اسمه قلونيقس أصلح ناراً وأحرق تلك السفن . وتلقّن الروم منذ إذ ان يُصلحوا ناراً ويتلونها بالنفط . الى هذا التاريخ كانت النصر محالفاً للعرب فقط . ومذ ذاك فصاعداً اصبحوا تارةً يغلبون وطوراً ينكسرون .

ثم ان قسطنطين سيّر رجالاً لضوضاً رومية مَرَدة أطلق عليهم السريان لقب جراجمة . فاستحوذوا على البلاد التي من جبل الجليل حتى الجبل الأسود وعلى

جبل لبنان اجمع . وانزلوا بالعرب أذى كثيرًا . واشتدّ العرب اخيرًا فقتلوا البعض وفقأوا عيون البعض الآخر .

اما قسطنطين فلما ترعرع ابنه يسطينس خلع اخويه واستمال اليه الزعماء بالعطايا . غير ان لاون احد اولئك الزعماء ناهضهم فأمر الملك بقطع لسانه ويديه ورجليه . واذ كان الجمع يرافقه في ذهابه كان ينادي ويقول : اني لن اكفر بالثالوث السماوي ولن ارفض الثالوث الارضي . وقد مُثل به وهو ينادي بذلك . ثم استحضر قسطنطين اخويه وقال لهما تجاه اعيان الروم : ما تريان عني يا طيباري ويا هرقل ؟ هل انا اخوكما ام ملككما ؟ فان قلتما اني ملككما قلت انكما اخوي . وان قلتما اني اخوكما اعتبرتكما عدوَّين لي . فقالا له : اننا لن نتأبى ان ندعوك أخًا كبيرًا وشيخًا [ ١١٠ ] ولكنّنا لن ندعوك ملكنا أصلًا لانا نملكان معك . غير ان الاعيان تحزّبوا لقسطنطين وخلعوا الملكين لان الرشوة اعمتهم .

وفي السنة ٩٨٩ لليونان ( ٦٧٨ ) ظهرت قوسٌ كاملة في الجزيع الثالث من الليل والشمس غائبة تحت الارض . وهو حدث خارق الطبيعة . واستفحلت الغيران في سوريا وفونيقي وأفسدت الارض . وفي القابل ظهر جراد زحّاف .

## بعد معاوية يزيد ابنه

تولّى ثلاث سنين وثمانية شهور . وحشد عملة كثيرين محاولًا ان يستنبط نهر ماء السحسحان وبالغ في ذلك جدًا لكن الأجل عاجله فخاب أمله ولم يخرج ماء . وفي السنة ٩٩٤ لليونان ( ٦٨٣ م ) ظهر نجم كبير مذنّب مدة احد عشر يومًا . وصار شتاء قاسٍ وجمد الفرات ونشف الزيتون وجفّت الكروم وتلفت البهائم والحيوان والطير .

## بعد يزيد معاوية ابنه

تولّى نحو اربعة اشهر . لمّا مات يزيد بن معاوية انتقض عليه المختار في الكوفة وكان محتالًا خدّاعًا مراوغًا . امّا اهالي يثرب فولّوا عليهم عبد الله بن الزبير ونادى الدماشقة بمعاوية بن يزيد بن معاوية . ولمّا دخلت السنة ٩٩٦ لليونان

( ٦٨٥ م ) نشبت حربٌ طاحنة في ثالث ايلول بين العرب وهلك من الطرفين زهاء اربع ربوات عند نهر الخزر ببلد نينوى . امّا معاوية الفتى وكانوا يسمّونه ابا ليلى بسبب جَزَعه كما اعتاد العرب ان يسمّوا الجبنا. نظير الاطفال الذين يهلعون ليلًا فلمّا رأى الخلاف بين العرب جَمَعَهُم قاطبةً للصلاة يوم الجمعة واستقال من المملكة وانزوى في بيته ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يومًا وتوفي.

## بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم

تولّى اربعة اشهر . وقدم من يثرب الى دمشق ليلقي الصلح بين الفريقين لانه كان شيخًا عاقلًا . فاستشارهم في ان يدوّن اسماء ثلاثة اشخاص على ثلاثة سهام ويدفعها الى رجل (١١١) يجهل الامر واول سهم يصوّبه منها فذاك يكون الملك . فوافقوا على ذلك وخرج سهم مروان ولم يملك سوى اربعة اشهر . وفي تلك السنة وهي السنة ٩٩٧ للاونان (٦٨٦ م) توفي كذلك قسطنطين وملك يسطنيان ابنه عشر سنوات .

## بعد مروان بن الحكم عبد الله بن الزبير

تولّى ثماني سنوات واربعة اشهر . وكان كما قلنا في يثرب وحدث في ايامه نزاع شديد بين العرب . ففي بابل استبدّ رجل اسمه عبدالله . وفي رأس العين حباب . وفي نصيبين بوريدا . وفي دمشق عمر بن سعد . وفي قرقيسيا زوفرا. وكان المردة الروم في لبنان يغزون في كلّ الاطراف . واستغرق هذا النزاع نحو ثماني سنوات . اما اهالي دمشق فنادوا بعبد الله بن مروان بن الحكم ملكًا عليهم .

## بعد عبد الله بن الزبير عبد الملك بن مروان

تولّى ثلاث عشرة سنة وستّة اشهر . ولُقّبَ بابي الذبّان لان الدما. كانت تسيل من لثته فتجتمع الذبّان على فمه دون ان يكترث لها . ولمّا نودي به ملكًا ورأى الحروب تكتنفه من كلّ صوب ولاسيّما من المردة الروم الذين ضايقوه في لبنان أبرم الصلح لعشر سنوات مع يسطنيان بشرط ان يرحل المردة

وهم اثنا عشر الفاً عن ارض العرب وان يؤدّي عبد الملك للروم بدلاً من ذلك كلّ يوم الف دينار وحصاناً واحداً وعبداً واحداً . وان تكون قبرس للدولتين فيؤدّي اهاليها نصف الجزية للروم والنصف الثاني للعرب . وان تكون ارمينية وغرزان وارزون واذربيجان للروم . ولمّا تمّ الصلح نازل عبدُ الملك ابنَ الزبير وقهره فانهزم الى يثرب ولاذ ببيت الصلاة فلحقه الحجّاج وحاصر البيت بالمجانيق وقوّض السور ودخل ففتك بابن الزبير ثم عاد فابتنى البيت .

امّا يسطنيان فاستبدّ ونقض [ ١١٢ ] العهود وألغى الصلح قبل اوانه وبعث فغزا العرب في قبرس . فزحف محمّد امير جزيرة قردو الى قبدوقية ولقيه الروم والصقالبة فانكسر الروم بناحية قيسارية واتّفق الصقالبة وهم سبعة آلاف مع العرب وقدموا معهم الى سورية فأسكنوهم في انطاكية وفي قورس واعطوهم نساء وذخائر .

ولم يقتصر يسطنيان على نقض العهود مع العرب بل ثنّى يفتك باعيان الروم . فتألّبوا وقبضوا عليه وشرموا أنفه وملّكوا عليهم عام ١٠٠٧ لليونان ( ٦٩٦ م ) رجلاً يقال له لونطيوس .

وبعد سنة جعل العرب يسكون الدنانير والدراهم والفلوس بالكتابة دون صُوَر .

وفي السنة ١٠١٠ لليونان ( ٦٩٩ م ) اقبل افسيارس المدعوّ طيباريوس رئيس قرّاد قيليقية وعزل لونطيوس وملك مكانه ولم يقتله . وهذا طيباريوس عاد فأخضع الصقالبة الذين خرجوا على الروم . وسار الى بلد سميساط وقتل خمسة آلاف عربيّ وغزا وسبى وعاد .

امّا عبد الملك فانتقى القائدين محمّداً والحجّاج فولّى الاول على ما بين النهرين وآثور وارمينية واذربيجان وولّى الثاني على العجم والعرب عامةً . وثنى الحجّاج ينهب اعيان العرب دون شفقة . امّا محمّد فأرسل واستحضر الموعدَ رئيس العرب التغلبيّين النصارى وأراده على الاسلام فأبى فألقاه في بئر حمأة ثم أخرجه وتلقّه ليسلم فلم يُذعن له فقتله . ثم حشد اعيان الارمن وحشرهم في احدى كنائس ارمينية واضرم فيها النيران واحرقهم قاطبةً . وقتل انسطاس

بن اندراأ صاحب الرها مع ان اعيان النصارى كانوا متولين يومئذٍ شؤون السياسة في المملكة العربية .

قال ديونيسيوس التلمحري البطريرك (٨٦٨- ٨٤٥) اشتهر اتناسي بن جومية في كل مكان وكان رجلاً [١١٣] عاقلاً متضلعاً من العلوم . فلمَّا سمع عبد الملك ملك العرب بأمره انفذ في طلبه واختبر كفاءته في كل شيء . ثم وجّهه مع اخيه عزيز الفتى الى مصر وفوّض اليه ان يثقفه . وتوفّق اتناسي هناك حتى أفضت اليه سياسة المملكة العربية باسرها واستفحل أمره واغتنى جدًّا واقتنى اربعة آلاف عبد ودوراً وقرًى وجنانًا وذهباً وفضة كالحجار . وكان له في الرها اربعمائة حانوت أوصى ان يُبنى بوارداتها كنيسة فخمة تسمَّى باسم والدة الله العذراء . وشاد في الفسطاط بمصر كنيستين معتبرتين . وأنس في الرها كذلك بيتاً للعمودية ووضع فيه صورة السيِّد المسيح التي أرسلها المخلّص الى ابجر الملك . وجعل له مجاري مياه مثلما صنع اموزينس الاسقف (؟) في كنيسة الرها القديمة ودبّجه بالذهب والفضّة المطعَّمة بالنحاس . فهذا اتناسي حسده كاتبٌ خلقيدونيّ دمشقيّ يقال له سرجي بن منصور . ولمَّا توفّي الامير عبد العزيز وغادر اتناسي مصر سعى به سرجي وادّعى ان ابن جومية اغترف خزائن مصر ونقلها معه . غير ان عبد الملك لم يغضب على اتناسي بل جامله وقال له : لسنا نوافق ان تكون كلّ هذه الثروة للنصارى فارضخ لنا حصّةً منها . فلبّى اتناسي مبتهجاً وأعطى ما أعطى حتى قال له الملك كفى . وبقي لاتناسي شيء اكثر وأوفر .

وفي السنة ١٠١٥ اليونان (٧٠٤ م) وجّه عبد الملك مسلمة الى المصّيصة فدوّخها . وفي السنة عينها ناهض عرب الكوفة والبصرة وحاربوا عبد الملك . وفيها كذلك أفلت يسطنيان من المنفى وقصد الخاقان ملك الخزر فرحّب به وزوّجه بابنته وولدت له ابناً سمّاه طيباريوس . ثم حشد جيوشاً من الخزر ومن البلغار وزحف الى قسطنطينية فانهزم افسيمارس وملك يسطنيان ثانيةً ستة اعوام [١١٤] بعد ما قضى عشر سنوات منفيًّا . وقتل لونطيوس وافسيمارس وكثيرين من الاعيان حتى افقرت الدولة الرومية من الجهابذة . وأطلق ستة آلاف من

الأسرى العرب ورحّلهم الى بلادهم . وبعث عدّة عساكر ليُحضروا امرأته وابنه فاغرقتهم جميعاً امواج البحر . ولمّا بلغ الخبر الخاقان ارسل يعنّف يسطنيان ويقول : كان الحليق بك ان تكتفي بارسال نفرٍ في استحضار امرأتك وابنك وهل غلب على ظنك اني امنعها ؟ كلّا وحقّ جنودك اني ما كنتُ امنعها . فخجل يسطنيان وبعث قوماً استحضر امرأته وابنه .

وفي السنة ١٠١٧ لليونان (٧٠٦م) ابتنى العرب اسوارًا للعيصة واقاموا فيها جنودًا يحصونها من الروم ثم سار اليها عبد الملك وفيها ادركته المنيّة.

## بعد عبد الملك بن مروان الوليد ابنهُ

تولى تسع سنوات وخمسة اشهر . وسيّر العساكر مع مسلمة فنازلوا طوانا (آطنة) بقبدوقية وحاربوها تسعة شهور . ووجّه اليها يسطينان عساكره ولما التقى الجيشان انكسر الروم وسقط منهم نحو اربعين الفاً فاحتلّ العرب المدينة ونهبوها . وفي السنة ١٠٢٢ لليونان (٧١١م) دوّخ مسلمة طورندا واقام فيها حاميةً عربيةً وفتح قلاعاً جمة اظنها ابلستين التي في بغولس بحدود الروم.

وفي السنة السادسة للوليد وهي السنة ١٠٢٢ لليونان (٧١١م) انتقض قيليفيقس على يسطنيان ملك الروم وعلى ابنه طيباريوس وقتلها وملك هو. ونفى الأرمن الذين في ولايته فأسكنهم العرب في ملطية وضواحيها وفي ارمن الرابعة . وجعل الارمن يعتدون العرب ويناهضون الروم.

وكان قيليفيقس خبيرًا بالحكمة الدنيويّة وحاول نقض المجمع السادس الذي أيّد عقيدة مكسيمس في المشيتين . ولما تمّ له في الملك سنتان وستة اشهر غزله الروم وكحلوا عينيه [١١٥] وملكّ انسطاس سنتين وخمسة اشهر.

وكان الوليد يبغض المسيحيين بغضاً شديدًا. وهو الذي بدّل وضع كنيسة الروم الكبرى القديمة في دمشق بعدما احتلها العرب وأعطي النصارى بدلاً منها مكاناً شيّدوا فيه كنيسة جديدة باسم والدة الله . اما الكنيسة الكبرى القديمة المشار اليها فقد ابتناها مسجدًا فخماً مشهورًا . وامر الكتّاب النصارى ان لا يكتبوا دفاتر الاحصاء بالرومية لكن بالعربية .

ثم ان الوليد قال لشملا زعيم التغلبيين العرب النصارى : بما انك زعيم العرب فانك بسجودك للصليب تجلب العار عليهم . فامتثل أمري وأسلم . فقال شملا : بما اني زعيم التغلبيين اجمع فاخاف اذا كفرتُ وكفروا بالمسيح أصبح انا سبباً لهلاكهم . وما ان سمع الوليد كلامه حتى أمر فجرّوه على وجهه وأخرجوه . وأرسل يحلف له انه إلم يُسلم يُطعمهُ لحمَهُ . غير ان شملا لم يفشل فأمر الوليد فقطع من فخذه فلذة وشواها وألقموه اياها . فاصطبر شملا على ذلك ايضاً . فسرّحه الوليد وظلّ شملا حيًّا والجرح ظاهر في جسمه .

وأمر الوليد عينه بقتل السحرة في الكوفة ذلك بان يرتقوا بالاخشاب كي لا يعاجلهم الموت ويلقوا في النهر . فالذين عاموا قتلوهم كمن عاموا بوساطة سحرهم . والذين غرقوا نشلوهم وتركوهم .

وأمر الوليد كذلك بقتل الاسرى المسيحيين ضمن الكنائس في مدن سورية جمعاء . ومات عام ١٠٢٦ لليونان ( ٧١٥م ) .

## بعد الوليد بن عبد الملك بن مروان اخوه سليمان

تولى سنتين وخمسة اشهر . وأغار مسلمة في اوّل ملكه على غلاطية واحتلّ قلعتها وانقلب في غنيمة وافرة . اما العساكر الذين وجّههم انسطاس الى المغرب فقد انتقضوا عليه وقتلوا قائدهم وأحضروا تودوسيوس وملكوه سنة واحدة وفرّ انسطاس الى نيقية . وفي السنه ١٠٢٦ لليونان ( ٧١٥م ) حاصر مسلمة لاتراك في ارضهم نسبى منهم [ ١١٦ ] جمًّا غفيرًا وعاد راجعاً .

وفي السنة ١٠٢٧ لليونان ( ٧١٦م ) زحف مسلمة الى بلاد اسيا ودوّخ فرغامس ورودس واستاق الاهالي سابياً . وفي السنة عينها جهّز سليمان مسلمة ليتوجّه الى قسطنطينية فحشد مائتي الف عسكريّ وخمسة آلاف سفينة مشحونة عسكرًا وذخائر . وجمع اثنى عشر الف عامل وستة آلاف جمل وستة آلاف جحش موسقة زادًا وسلاحاً وآلات مجانق واقام لهم قائدًا ثانياً يقال له عمر ابن هبيرة . وانضمّ الى هؤلاء كلهم ثلاثون الف رجل تطوّعوا بنفقاتهم ليحاربوا

لوجه الله تعالى وأطلق عليهم لقب متطوّعة وهكذا زحفوا في جيشين احدهما بحرًا وثانيهما برًّا .

وما ان التقى لاون قائد الروم بسلمة قائد العرب حتى صرّح له بانه يساعده على فتح العاصمة فوعده مسلمة بملكة الروم. ولما أحسّ الملك ثنودوسي بخيانة لاون قبض على ذويه وزجّهم في السجن بمدينة عمورية . فسمع لاون وقصد سليمان الملك وهو يحاصر مدينة خلقيدونية ليمنع دخول الاقوات الى قسطنطينية واخذ من عنده ستة آلاف عسكريّ وخيّم في عمورية . فخاف اهاليا وسائر اهله . ثم اطلق لاون العرب ودفع الى كل واحد اثني عشر دينارًا وعاد هو والروم الى قسطنطينية وصرّح للجيش الرومي بانه انما يساير العرب مخادعاً . فاقتنعوا وملكوه عليهم . ولما دخل لاون العاصمة خرج عنها ثنودوسي الملك وقصّ شعره وصار اكليريكيًّا.

وملك لاون اربعاً وعشرين سنةً . وطفق يعلل العرب بآمال فارغة ريثما حصّن المدينة بالذخيرة وغيرها . ولما عرف مسلمة ان لاون خدعه وخاتله عبر البحر في اربعة آلاف ساخطاً وشدّد الحصار على قسطنطينية . وبسبب تأخره في الذهاب باغته البلغار الذين استأجرهم لاون فاوسعوا العرب قتلًا وافلت مسلمة بالجهد ووصل الى المعسكر الكبير الذي كان مخيماً غربي قسطنطينية تجاه باب الذهب . ووضع سدًّا امامهم ما بين المعسكر والمدينة وخندقًا وُراءهم تجاه البلغار والبحر عن يمينهم ويسارهم . وكان اهل المدينة والبلغار يقاتلون العرب وسفن الروم في البحر تعضدهم. واحتاج العرب الى اكثر من الفي رجل ليذهبوا ويأتوهم بالذخائر فأمسوا هم والاتراك ظاهرًا وداخلًا في ضيق شديد وأدركهم الشتاء والجوع والبلغار يواصلون القتال . وبلغ الجوع من العرب حتى أكلوا زفت السفن . ولما كان مسلمة يعلمهم بوصول الاقوات والمؤن باغتهم. نبأ موت الملك سليمان .

## بعد سليمان عمر بن عمّه عبد العزيز

تولّى سنتين وخمسة اشهر . وأرسل مَن يأتيه باخبار الجنود المحاصرين في قسطنطينية . فكتب اليه مسلمة اخبارًا ملفقة مدّعياً ان الجماعة في احسن حال وان المدينة تسقط قريباً . غير ان الرسول افضى بالحقيقة الى عمر فكتب عمر الى مسلمة في العودة مع العسكر . فتعلل مسلمة بسبب الشتاء . ولما انقضت شدة الشتاء سيّر عمر رسولًا ثانياً يقول للجماعة كي يعودوا راجعين على رغم مسلمة . فقتك الروم بكثيرين منهم برًّا وبحرًا لدى خروجهم . وكان عمر قد وجّه اليهم عشرين الفاً من الخيل وعشرة دنانير الى كل منهم ينفقها في سبيل نجاته .

وبسبب ما احاق العرب من التقهقر والانكسار في زحفهم الى قسطنطينية اضمر عمر الحقد الشديد على المسيحيين وضايقهم وابطل نواقيسهم وامر ان لا يرفعوا أصواتهم وقت الصلاة وان لا يلبسوا ثوب الجند ولا يركبوا دابة مسرّجة . وتوفي عمر في شباط ١٠٣٤ لليونان ( ٧٢٣م ) [١١٨].

## بعد عمر بن عبد العزيز يزيد ابن عمه عبد الملك

تولّى اربع سنوات . وانتقض عليه يزيد بن المهلّب العربي الحيري وحالفه عرب الكوفة والبصرة والعجم كافة . فبعث يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً ظفر بابن المهلب قرب بابل وقتله .

وأمر يزيد ان تُنتزع صورة كل حيّ من الهياكل والجدران والاخشاب والحجار والكتب . وماثله لاون ملك الروم فانتزع من الكنائس واليبوت صور القديسين والملوك . وبسبب ذلك ثارت فتنة بين الروم وتنكروا للملك وتهدّدوه علانيةً . ونفى الملك من بلاده كلّ من لا يوافق على عقيدة المجمع الخلقيدوني . واشتدّ على اليهود فتنصّر كثيرون منهم وانهزم البقية الى سورية .

وفي هذا الزمان ادّعى رجل سوريّ يقال له سويرا بانه هو المسيح ولما قبض عليه الوالي صرّح بقوله له : اني مازحتُ اليهود وضحكتُ عليهم .

وفي السنة ١٠٣٢ لليونان ( ٧٢١ م ) قلّت مياه الينابيع واضطرّ اهالي القرى ان يسيروا مسافة سبعة اميال ليستقوا الماء . وشحّت الغلال كذلك . وظهر الجراد في القابل واكتسح النبات . وبعد سنتين حدث طاعون ووباء ولاسيما في بلاد ما بين النهرين . وتوفّي يزيد في البلقاء ببلد دمشق عام ١٠٣٧ لليونان ( ٧٢٦ م ) .

## بعد يزيد بن عبد الملك هشامٌ أخوه

تولّى اثنتي عشرة سنة وثمانية شهور . وضايق الناس بكثرة الضرائب والجزية وانبسط انهارًا من الفرات عند الرقة لسقي الزروع والاغراس فتوفّرت فيها الغلّات توفرًا أربى على كلّ خراج ولايته .

وفي هذه السنة زحف العرب الى نوقيسارية البنطس وأخربوها بالمرّة . وزحفوا كذلك الى ارض الاتراك في الجرّاح قائدهم ودوّخوا هناك مدينة كبرى واحتووا على غنائم وافرة وعادوا راجعين .

وفي السنة ١٠٣٨ لليونان ( ٧٢٧ م ) انتقض الاقباط على العرب فوثب عليهم [ ١١٩ ] الجند وفتكوا بعدد وافر منهم وانهزم البقية في السفن .

وفي السنة ١٠٣٩ لليونان ( ٧٢٨ م ) اغار مسلمة تكرارًا على ارض الاتراك فانكسر العرب وتركوا اثقالهم وانهزموا . وفي السنة ١٠٤٢ لليونان ( ٧٣١ م ) برز الاتراك واحتلوا مدن اذربيجان فكرّ عليهم مسلمة بعساكره وهلك الوف وربوات من الجانبين . واكتفى الاتراك بما دوّخوه من المدن ولم يزحفوا الى سائر امصار العرب . ثم عقد العرب معهم الصلح .

وبعد هذا اغار العرب على بلاد الروم مع معاوية ابن الملك وقوّضوا اسوار مدينة انقرة ونازلوا نيقيّة وحاصروها وحاربوها اربعين يومًا ودكّوا سورها وانهزم الروم اهاليها في السفن فاحتلّها العرب ودمّروها . واذ بلغ هشام ان لاون قتل الاسرى العرب أصدر الامر بقتل جميع الأسرى الروم .

وفي تلك الفضون اتخذ لاون الملك ابنة الخاقان ملك الخزر زوجةً لابنه قسطنطين . وبعد عمادها وتكميلها وضع لاون التاج لابنه ونادى به ملكاً.

وفي السنة ١٠٤٨ لليونان ( ٧٣٧ م ) سار الى حرّان رجلٌ رومي اسمه بشير وتظاهر بالاسلام وقصد رجلًا الثغ يقال له تئوفيطس وأخبره سرًّا بانه هو طيباريوس بن قسطنط ( يسطنيان ؟ ) الذي كان على ما يُظَنّ قد توفي . ثم ان الالثغ واجه سليمان بن هشام وسعى بالرجل الروميّ فقبض عليه وأخبر أباه هشام . فارتاح هشام للخبر وغلب على ظنّه ان ابن ملك الروم حصل في قبضته وأمر فألبسوه ثوباً ارجوانيًّا وأحضروه اليه . وهذا بشير الروميّ سار الى كنيسة الرها ودخل المذبح وتناول القربان بيده من مائدة الحياة طبقاً لعادة ملوك الروم . وجعل يستدعي اليهود ويطلب منهم ان يصنعوا له رُقيةً . وسأل زعيم الحرّانيّين ان يتطلّع له في الكبد ليعرف ما يؤول اليه أمره . وقد افتضح هذا الشقي بعد ذلك وقُتل .

وفي السنة ١٠٥٣ لليونان ( ٧٤٢ م ) [ ١٢٠ ] مات لاون وخلفه ابنه قسطنطين اربعاً وثلاثين سنة . فانتقض عليه ارطباس صهره ودخل العاصمة واحتلّ البلاط . وكان الملك متغيّباً فارًّا من وجه خدّامه مستعيناً بحاشيته مسافرًا مع جنوده الى عمورية فروجية وقضى فيها الشتاء . فحشد ارطباس الجنود واغار على الملك فانكسر ارطباس وانهزم . ومات هشام في رصافة الرقّة عام ١٠٥٦ لليونان ( ٧٤٥ م ) .

## بعد هشام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

تولّى سنةً وثلاثة اشهر . وأساء الى ابناء آل هشام وابتزّ بيوتهم . وأمر ان يُبتر لسان بطريرك الخلقيدونيّين ( اسطفان الثالث ٧٤٢–٧٤٥ ) في سورية . وكان العرب يبغضون الوليد بغضاً شديدًا بسبب معاقرته الخمرة والمسكر وخلاعته حتى اطلقوا عليه اسم الفاسق والفاجر . ثم انتقض عليه العبّاس بن الوليد وهو عمه وحاول ان يخلعه فلم يرضَ العرب لانه اعني العبّاس كان ابن سرّية فملكوا

عليهم اخاه يزيد بن الوليد في دمشق . وهذا يزيد وجه العساكر الى الوليد ابن يزيد فادركوه في البرية واحتزّوا رأسه وربطوه برمح وشدّوا معه ظرف خمر وطافوا به في دمشق.

## بعد الوليد بن يزيد يزيد بن الوليد

تولى شهرين وهو الذي قتل الوليد ابن عمه كما ذكرنا . فوقع بين العرب خلاف شديد . وتولى في كل ناحية حاكم مستبد برأيه . فكان بسطام في الجزيرة . وسعيد بن هُدَيل في الموصل . وعبدالله ابن الملك عمر في واسط . ومروان في ارمينية . وابن سارج في خراسان . وابو هُدَيل في افريقية . وأصيب يزيد بالطاعون لشهرين من ملكه ومات .

## بعد يزيد بن الوليد أخوه ابرهيم

كان ابرهيم هذا لطيف المعشر كريم الاخلاق. وما ان مضى [١٢١] شهران عليه حتى استقال من مملكة دمشق واختفى . ولم يُعرَف مكانه الا بعد خمس سنوات فعثروا عليه بين القتلى في حرب اهلية انتشبت بين العرب .

## بعد ابرهيم بن الوليد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

لُقّب بِمَارَ الجزيرة لانه كان يؤثر ورد الزعفران أعني بهار البرّ وكان متولياً في كل زمانه جزيرة فردو . فخرج عن ارمينية والتقى بسليمان في سواحل الفرات وفتك باثني عشر الفاً وانهزم الى الرصافة . وعاد مروان الى دمشق وتولى أمرها ، ثم نقل خزائن الدولة على نحو ثلاثة آلاف جمل وزحف الى حمص وشد الحصار عليها اربعة اشهر ودوّخها ودكّ سورها وحطّم بالمرازب منحوتاته. وقوّض كذلك سور بعلبك . وسار الى حرّان والرها الى بلاد آثور وفرثيا اعني اصبهان .

وفي تلك الاثنا. ظهر ابو العبّاس وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله

ابن العباس عمّ نبي المسلمين في جيش كثيف من اهالي خراسان وضرب خيامه على نهر الزاب قرب آثور . فزحف مروان والتقى بجيش ابي العباس فانكسر مروان وخسر سبعمائة حمل جمل ذهباً ودراهم . وانهزم مع ابنه وصهره غازياً الى حرّان . ونقلوا كنوزه على ثلاثة آلاف جمل وانطلق الى عسقلان على شاطئ البحر . فطارده ابو العبّاس واصحابُه فانهزم مروان الى اطراف مدينة سيواني بحدود النوبة . وفيما كان حالًا بسواحل النيل ادركوه وفتكوا به.

وفي هذا الزمان خرج من قسطنطينية اشكيرش قائد الجيش الارمني ووافى الى ملطية واستباح بلدها باجمعه. اما الملك قسطنطين فبعدما تغلب على ارطباس الطاغي استقرّ له الملك ورُزق ابناً من زوجته ابنة الخاقان وأسماه لاون . وسادت الطمأنينة في جميع بلاد الروم لان العرب كانوا منهمكين في حروب اهلية .

## بعد مروان ابو العباس

تولّى اربع سنوات [١٢٢] وثمانية شهور. وأجهز على مروان واستقلّ بالملك وحده في الاقطار العربيّة جمعاء. وألغى مملكة دمشق ونقلها الى بابل . ومنه يتحدّر خلفاء بغداد الذين قضى الهولاكيّون المغول على دولتهم في عهدنا ( في القرن الثالث عشر ).

ولما كان ابو العبّاس مقيماً في احد بلاد المغرب حدثت في معسكره بغتةً ضجّةٌ شديدة. وسارع الناس والملك كذلك ليشاهدوا المعجزة . فأبصروا ثمانية رجال قد انبعثوا من القبور بَانَ بعضُهم حتى السّندوتين وبعضهم حتى الظهر والبعض حتى الركبتين . وكانت لحى بعضهم مصبوغة كعادة العرب وعرفهم كثيرون. ولمّا دنوا ليكلموهم لم يجاوبوهم قطعاً . فأخذهم الدهش وأمر الملك ان ينحرفوا عنهم يومئذٍ ولا يمتوهم مؤملًا انهم يتكلّمون فيما بعد. وفي الغد انطلق الناس ثانيةً وشاهدوهم احياء صامتين . فأمر الملك ان يُدفنوا ثانيةً .

وفي السنة ١٠٦٣ لليونان [٧٥٢م] توفّيت امرأة الملك قسطنطين ابنة الخاقان. واقام ثلاثة اعوام دون زواج وفقاً لشريعة الملوك المسيحيين . وحاول بعض

الدهاة ان يعزلوا الملك فاشاروا عليه على سبيل التجامل ان يتزوّج . فقال لهم وهو عارفٌ بغدرهم: ان شريعة الروم غير خافيةٍ عني . وأعتقد ان الملك خليقٌ بان لا تستعبده الشهوة . ومع هذا فاني ممتثل مشورتكم ان رأيتم ذلك فرضاً واجباً بشرط ان تنادوا بابني ملكاً عوضاً عني وبعدئذٍ اليّ طلبكم . ولمّا تزوّجوا ابنه ملكاً ظلّ هو متولّياً شؤون الدولة اذ كان حكيماً يهابه الاعداء. وفي تلك السنة زحف الى ملطية وحاصرها واقام عليها المتاريس وثغر جانباً من سورها . واخيراً صالح مَن فيها من العرب وسرّحهم . وأجلى اهالي قلودية وجميع قرى ارمن الرابعة ، وفي تلك السنة عينها توفي[١٢٣] ابو العبّاس عبدالله .

## بعد ابي العبّاس اخوه أبو جعفر المنصور

تولّى اثنتين وعشرين سنة . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١٠٦٦ لليونان (٧٥٥م) والسنة ١٣٥ للعرب شدّ قسطنطين ملك الروم على قليقلة وهي ارضروم ودوّخها وتركها خاليةً خاويةً . ووضع حاميةً في حصن كامخ .

امّا عبدالله بن عليّ فلمّا بلغه نبأ موت ابي العبّاس خافق يطوف المدن ويحتلّها . فوجّه اليه المنصور أبا مُسلِم قائد الجيوش فتغلّب عليه . ثم انتقض ابو مسلم على الخليفة ابي جعفر وجعل يتوغّل في البلاد يحاول احتلالها . فسيّر اليه ابو جعفر رجلاً يقال له عيسى فأقنعه وجاء به . ولما كاد يدخل دار الخليفة حتى اشار ان يُبطَش به . واستقلّ ابو جعفر بالدولة العربية وأمر ببناء ملطية كالاوّل واقام فيها العسكر . وابتنى كذلك قليقلة ووضع فيها حاميةً .

وفي السنة ١٠٧١ لليونان (٧٦٠م) فتح العرب افريقية . وفي تلك الاثناء خضع للعرب بلد طبرستان . وهذا البلد يحدّه شمالاً بحر قزبين . وشرقاً جرجان . وجنوباً ماداي وبعض فرثية . وغرباً الديلم . وهو يشتمل على خمس مدن مسوّرة وتكثر فيه الجبال والغابات والمروج والاودية والمضايق . وطوله من الشرق الى الغرب اربعون فرسخاً . وعرضه من الشمال الى الجنوب عشرون فرسخاً .

وفي السنة ١٠٧٣ لليونان (٧٦٢م) ابتنى ابو جعفر على دجلة مدينة فوق قطيسفون وأسماها بغداد باسم صنم كان في ذلك المكان واستقرّ فيها . وبعد

سنة مرق من طاعته رجلٌ يقال له محمد من ابناء عليّ صهر نبيّهم وابن عمه ومالت اليه الامة العربية جماء . فزحف اليه عدى قائد الجيش وبطش به في يثرب في شهر رمضان صومهم. ثم انتقض على الخليفة كذلك ابرهيم اخو محمد في البصرة فقُتل مثله.

وفي السنة ذاتها زحف الخزر وسبوا خمسين الف نسمة [١٢٤] من اهالي غرزان. وفيها كذلك خضع للعرب بلد كابول بناحية الهند. ووضع ابو جعفر الضرائب على جميع الشعوب وضاعفها على المسيحيين.

وفي السنة ١٠٧٦ لليونان ( ٧٦٥ م ) حدثت زلزلة عنيفة في ارض خراسان وانتقل احد الجبال من مكانه نحو ثلاثة اميال ثم تبدّد لانه كان من تراب مطين.

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان ( ٧٦٩ م ) خرج بعض مجوس العجم على العرب واقاموا لهم زعيماً . فشنّ العربُ الغارة عليهم فانكسر العرب وتشدّد المجوس واعتزموا ان يؤسسوا دولة مستقلة . فزحف اليهم العرب في جيوش قويّة جدًّا وبطشوا بهم وقتلوا زعيمهم واربعين الفاً منهم . وفي تلك السنة اغار العرب ساخطين على وادي مرعش اذ بلغهم ان الاهالي هم جواسيس للروم . فأجلوهم وساقوهم الى بلد الرملة واسكنوهم هناك . وفعل العرب نظير ذلك باهالي سميساط. وفي تلك الغضون انتقض البربر في افريقية وفتكوا بالعرب والعجم. فشدّ عليهم يزيد القائد وقهرهم وأتلف زهاء ثلاثين الفاً منهم.

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان ( ٧٦٩ م ) عينها وُجدت امرأة في بخارى لا تأكل ولا ترضع ولا تشرب شيئاً بتةً . وبلغ المهديَّ ابنَ الملك خبرُها فأوفد من أحضرها الى بغداد وجرّب أمرها واستيقن ذلك الحادث الخارق العادة.

وفي السنة ١٠٨٣ لليونان ( ٧٧٢ م ) شاد ابو جعفر مدينةً بناحية الرقة دعاها الرافقة. ولم يشاهد احدٌ مثل صناعة ابوابها . ولما كنتُ انا الحقير متولّياً ابرشيّة حلب ( في القرن الثالث عشر ) نقلوا منها مصراعين ضخمين من الرصاص وركّبوهما على باب قنسرين ومصراعين آخرين اصغر منهما لم يتيسّر لهم وضعُهما لان المغول باغتوا المدينة وقوّضوا اسوارها وحطموا ابوابها.

وفي السنة المذكورة عينها ارتحل ابو جعفر من بابل الى ما بين النهرين وسورية واشتدّ [١٢٥] على الاهالي بضرائب باهظة. وحشد كلّ الفضّة والذهب في خزائنه. فتضايق الناس وجعلوا ينبشون القبور علّهم يعثرون على حليّ مصوغة دُفنت مع الموتى.

وفي هذا الزمان حفر الروم في مدينة نيقومدية وعثروا على مغارة قد دُفن فيها نيقوميدس مؤسسها وهو محنّط وعليه حليّ ذهبيّة وياقيت حمراء تنير في الظلمة. فشعر الملك قسطنطين بالخبر وأبدى شهامةً ممتازة اذ لم يَرَ ان يأخذ شيئاً من تلك الحُلى وهو يقول: قبيحٌ بالأحياء ان يحتاجوا الى الموتى! ثم ارسل عملةً سدّوا المغارة سدًّا محكماً وكوّموا فوقها جبلاً عظيماً من تراب وحجر.

وانتشر في تلك الغضون وباء وجوع شديد في سورية وآثور لا لنقص الحنطة بل لجارّ أيدي الناس من الدراهم. فكان ثمن الثور والحمار درهماً واحدًا. وعشرة اكيال خمر درهماً واحدًا. وخمسة امداد حنطة درهماً. وثمن كلّ صبيّ وصبيّة خمسة دراهم. وبعد ثلاثين (؟) سنة لتلك الرزايا توفي ابو جعفر في الكعبة وانفرج الناس من ضيقهم. وتوفي كذلك قسطنطين ملك الروم قبل خمسة وعشرين يوماً لوفاة ابي جعفر وملك لاون ابنه خمسة اعوام.

واشتهر في تلك الايام جيورجيس الطبيب ابن بختيشوع العيلاميّ. واستحضره الخليفة المنصور الى بغداد ليعالج داء ادركه في معدته. ولمّا حضر جيورجيس دعا للخليفة بالفارسية والعربية بعبارات بليغة جدًّا أعجبت المنصور فأجلسه ووصف له مرضه. فوعده الطبيب بالشفاء تدرّجاً ريثما زالت علّته. قيل ان جورجيس زار الخليفة يوم ميلاد ربّنا فقال له الخليفة ماذا اكلتَ؟ قال الطبيب: كلّ لذيذ وطيّب كما شاء الربّ. قال الخليفة بلغني ان ليس لك امرأة. قال الطبيب: أجل لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقوى على النهوض على قدميها [١٢٦]. فانتظر الخليفة حتى انصرف الطبيب وأمر سالماً كبير خدّامه ان ينتقي ثلاثاً من الجواري الروميّات الممتازات بالجمال ويذهب بهنّ الى بيت الطبيب مع ثلاثة آلاف دينار. فامتثل الأمر وكان جورجيس وقتئذٍ متغيّباً عن منزله. فلمّا عاد وشاهد الجواري سخط على تلميذه وقال له: يا تلميذ الشيطان لماذا ادخلتَ هؤلاء.

الى منزلي ؟ أتريد ان تنجسني ؟ ثم أرسل فاستدعى كبير الخدام وردّ عن معه. ولمّا اتصل الخبر بالخليفة قال لجورجيس ما بالك رددتَ الجواري ؟ قال الطبيب : عشتُ الى الابد ! اننا نحن معشر النصارى لا يحلّ لنا الزواج باكثر من امرأةٍ واحدةٍ . وشريعتنا تمنع الزواج بامرأة ثانية ما دامت الاولى في قيد الحياة . فاستحسن الخليفة كلامه ورخّص له ان يختلف الى نسائه وبناته دون مانع. وازداد اعتباره لديه وأحبّه كنفسه . تلك ثمرة العفاف يا اخوتي !

## بعد ابي جعفر المهديُّ ابنه

تولّى عشر سنوات . وفتح خزائن الدولة وجعل يُسرف ثروة ابيه اسرافَ المذراة لا على جنوده فحسبُ بل على سراريه ايضاً اذ كان منهمكاً في الملاذّ واللهو . وتشبّث بالسحر والعرافة والقضا والقدر وجعل يجمع كتب السحر وأرسل اليه لاون الملك كتاب ينيس ويمبريس وهو يحكي عن عرافة المصريين كلها وعمّا فعلوه تجاه موسى الكليم . وفي اوّل خلافته أعتق الأسرى النصارى كافّةً ونهج نهجه لاون الملك فسرّح جميع الاسرى العرب.

غير ان المهديّ قوّض الكنائس التي ابتناها النصارى في عهد العرب وأخرب كنيسة الخلقيدونيين ( الروم ) في حلب. وأشهر الاضطهاد على المانويين وقوّض موضعاً يقال له القدّان الكبير كان غاصّاً بهم . وأمر بقتل كثير من العرب تشبّثوا بالمانويّة. وقبض على ثمانية رجال أجلّاء من آل جومية ( السريان ) فأذيقوا اعذبة فادحة وقضى ثلاثة منهم في السجن ونجا الخمسة.

وفي هذا الزمان اشتهر ثوفيل بن توما الرهاويّ الخبير بالتنجيم [١٢٧] وكان من أتباع بدعة المرانة . وخلّف تاريخاً معتبرًا في اللغة السريانية تحامل فيه على المستقيمي الايمان ( اليعاقبة ) واستحقرهم ، ونقل كتابيّ اوميرس في فتح ايليون عن اليوناني الى السريانيّ ، وثوفيل هذا خدم الخليفة المهديّ فاحبّه المهديّ حبًّا جمًّا لتضلّعه من علم الفلك والتنجيم . قيل ان الخليفة همّ يوماً بالسفر الى احدى مدنه مع اهل بيته . فارسلت امرأته جاريتها تقول لثوفيل : انكَ قد اشرتَ على الملك بالسفر فجشمتنا مشقةً وعناء في الطريق كنّا في غنًى عنها . فلي

رجاء بالله عزّ وجلّ ان يهلكك وينقلك من الارض لنستريح بنجاتنا منك . فقال تنوفيل للجارية التي أتته بالرسالة : ارجعي وقولي لمولاتكِ : اني لم أشر على الخليفة في السفر . فهو يسافر كما يشاء . اما دعاؤكِ عليّ بان يعجّل الله تعالى موتي فهذا شيء قد قضى به تعالى وأصبح مؤكّدًا اني اموت سريعاً . ولكن لا تتوهمي اني أموت لان الله قبل دعاءكِ . لكن مشيئة من خلقني ستكمل . اما انتِ ايتها الملكة فأقول لكِ : أعدّي لنفسك تراباً كثيرًا فاذا سمعتِ اني متُّ فاجعلي ذلك التراب كلّه على رأسكِ ! فخافت الملكة خوفاً شديدًا لمّا سمعت ذلك وما زالت متوقّعة تأويل هذا القول حتى مات تنوفيل بعد ايّام معدودة ثم مات الخليفة بعد عشرين يوماً وصحّ ما قرّره تنوفيل .

وفي السنة ١٠٩٠ لليونان ( ٧٧٩ م ) أقبل المهديّ الى حلب وخرج الى لقائه التنوخيّون الذين كانوا يقيمون في الخيام بضواحي المدينة وهم تتطوّن خيولًا مطهّمةً ورافلون بالحلل . فقيل له : ان هؤلاء هم نصارى . فاحتدم المهديّ سخطاً . واضطرّهم ان يُسلموا . فأسلم زهاء خمسة آلاف رجل ولم تُسلِم النساء . واستشهد منهم رجل جليل اسمه [١٢٨] ليث .

وارتحل المهديّ بعد ذلك الى بلاد الروم واناخ ببلد اربيسوس على نهر فرمون . ودوّخ ابنه هرون قلعة سيالوس وغزا وانطاق .

وفي السنة ١٠٩٢ لليونان ( ٧٨١ م ) أجلى العرب من افسوس نحو سبعة آلاف نسمة ومات من العرب زهاء اربعة آلاف .

اما لاون الملك فوجّه جيوشاً أجلوا جماعةً من السريان المستقيمي الايمان ( اليعاقبة ) وأسكنهم في تراقية . ويقال ان هذا الملك كان يحتقر الصُوَر ويعالي المستقيمي الايمان كأبيه وقد ادركته المنون في هذه السنة وقام بعده ابنه قسطنطين وملك اثنتين وعشرين سنة . وتولّت ايريني امّهُ تدبير المملكة ونادوا بها ملكةً معه .

وفي السنة ١٠٩٤ لليونان ( ٧٨٣ م ) وجّه المهدي ابنه هرون الى قسطنطينية فاستدرك الروم الأمر واقاموا سدًّا تجاه العرب عند نهر سغريس . فاصبح العرب يحصرهم الجبل من الجانب الواحد والنهر المذكور من الجانب الآخر . وتضايقوا

جدًّا وطلبوا الصلح لثلاث سنوات . وقد وافقتهم ايريني الملكة لضعف رأي النساء. وأفرجت عنهم. وبعد سنة ابتنى عليّ مدينة الحدث.

## بعد المهديّ موسى ابنه

تولّى سنةً واحدةً وشهرًا ونصف شهر . وقبل ان تُعقَد له الخلافة أي في السنة ١٠٩٥ لليونان ( ٧٨٤ م ) ظهر جراد طيّار عاث الزروع وقمس ثم خرج وجعل يلتزق بالاسوار ويدبّ في الجدران ويخشّ في المنازل من الكوى والابواب حتى ملأ قِرَبَ المياه والفرش والموائد والصحون. وكان يدخل من جنوبي البيت ويخرج من شماليه . والتهم الاعشاب والاشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر . وأتلف نواحي الرها وسروج برمّتها ثم انتقل الى المغرب . وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الضربة القاسية عمّ الغلاء الارض جمعاء.

وفي السنة ١٠٩٧ لليونان ( ٧٨٦ م ) أغار الروم على الحدث التي ابتناها العرب حديثًا واخربوها وقوّضوا اسوارها وحطموها بالمرّة . وفي تموز تلك السنة توفّي الخليفة.

## بعد موسى هرون الرشيد أخوه

تولّى ثلاثًا وعشرين سنةً وشهرين . ووجّه عبد الملك فقوّض كنيسة [١٢٩] الكيسوم الكبرى وخمس عشرة كنيسة غيرها . ونقل حجارها على الفي عجلة الى الحدث التي أخربها الروم وجدّد هو بنيانها . وتوغّل العرب في بلاد الروم وساحل البحر وغنموا غنائم وافرة .

وفي السنة ١١٠٠ لليونان ( ٧٨٩ م ) خرج الوليد وهو من بدعة الرواضتي وحشد خمسة آلاف مقاتل وشدّ على نصيبين وفتك بأميرها واستصفى أموال تجّارها. واستتزف من كلّ مسيحيّ خمسة دراهم. وبعدما بطش بجيش عبد الملك وفتك بالعرب وأقفرت الطرق من الغادين والرائحين باغته يزيد في عسكره وأجهز عليه.

وفي القابل ارتحل هرون من بغداد الى الرقّة يريد الاقامة فيها فزاد في

عمارتها وغرس في ضواحيها جنانا كثيرة وجلب لها نهرًا من الفرات ونهرًا ثانيًا من سروج. وقد اشترى مياه قرى سروج من اصحابها واختفر لها نهرًا جديدًا.

وفي السنة ١١٠٤ لليونان (٧٩٣ م) اصطدم القيسيون واليسنيون في حمص وقُتل منهم الكثيرون. وغنم عبد الملك غنيمةً وافرةً من بلاد الروم. ودوّخ ابنه عبد الرحمن قلعة ربسة في قبدوقية ومات فيها اربعمائة رجل عطشًا ثم سلّموها.

وفي هذا الزمان حاول قسطنطين الملك ان يفقأ عيني ألفيدي بطريق صقلية لارتكابه المنكر مع امه وانهزامه الى العرب. واستحلف الزعماء ان لا ينادوا بامه ملكة. امّا ألفيدي فقد اخذ اربعين الفًا من العرب مع الامير سليمان واغار على حصون فادركهم الشتاء. وهلك اربعة آلافٍ منهم واضطُروا ان يستغيثوا بالروم فأبدى الروم عطفًا عليهم ولم يمسّوا احدًا منهم بأذى. وانصرف العرب في كانون الثاني وقد أهرأ الثلج أرجُلهم. قال البطريرك ديونيسيوس التلحريّ: شاهدتُ منهم نحو اربعمائة رجل في الرها.

بعد هذا صار قسطنطين الى موادعة ايريني امه وأمر ان ينادوا بها ملكة [١٣٠] فامتثل الأمر جميع الاهالي سوى الارمن فانهم بسبب الايمان لم يأتمروا بأمر الملك الجائر فاوقع بهم واضطهدهم.

وفي السنة ١١٠٨ لليونان (٧٩٧ م) مرّ هرون الرشيد بالرها فواجهه المسلمون وشكوا النصارى مدّعين انّ ملك الروم يزورهم كلّ سنة تحتَ السرّ ويصلّي في كنائسهم. فبحث الخليفة عن الأمر واستبان له افتراؤهم فأوسعهم ضربًا وطردهم.

امّا آل جومية الرهاويّون فبعدما بذّروا ثروتهم كلّها حفروا يومئذٍ في بيتهم ونبشوا كترًا مخفيًا. وكانوا قد دانوا بدين العرب فافحشوا في البهائم وكلاب الصيد وتهتكوا وبلغ الملك هرون خبرُهم فألقاهم في السجن بالرقة وبعث حاجبَه فاحتوى على كلّ ما باعوه من الاموال الملكيّة وفي جملتها حيّات وعقارب فضيّة مملوّة اكسيرًا أسرفوها جهلًا. ثم قبض الحاجب على امّهم العجوز وعلى نسائهم الحواتر وانتزع منهنّ ما بقي من أكواز الذهب والفضّة والامتعة والدنانير الرومانيّة وطرحهنّ في السجن وحبس اختهنّ العذراء في بيت

رجل خلقيدوني (روميّ) في غرفة عالية بالطبقة الرابعة واقام رجالًا اعاجم لحراستها . ولمّا جنّ الليل سمعت العذراء وطأة اقدام فظنّت ان رجلًا اعجميًا مقبلٌ ليغتضّها فتقنّعت ورمت بنفسها من النافذة وقضت حياتها في الحد . فارتعش الحاجب وتأسّف الملك عليها ثم أطلق اخوتها من السجن وردّ اليهم خمس اموالهم . وقد اطّلع على هذا الحادث البطريرك ديونيسيوس التلحري اطّلاعًا تامًّا ولاسيما لانه كان من اسرة ايونيس الرصافيّ فقال: ان البيت الذي عثروا فيه على الكنز كان يخصّ ايونيس المشار اليه وهو الذي تخلّى عنه لآل جرمية بمثابة جهاز لابنته وقد خبأته امرأة ايونيس لمّا اصدر الملك كسرى الامر بنفيها .

اما الملك قسطنطين فقد خالف الشريعة واقترن بامرأة ثانية وامرأته الشرعية في قيد الحياة . وكان يستدعي بنات الأعيان ويغتضّهنّ [١٣١] ولمّا زحف الى تراقية ليحارب البلغار ظلّ ينادي في معاقرة الخمرة والخلاعة . فاتفق لذلك الزعماء مع امّه ولمّا قفل راجعًا فقأت عينيه وافقدته البصر وتفرّدت بالملك وحدها واقامت أطيس الحاجب مساعدًا لها ورئيساً على البطارقة . فبطش بالعرب الذين زحفوا الى بلاد الروم . وما مرّ العام حتى شنّوا الغارة وتغلّبوا عليه وكرّروا الزحف فانتصروا . وحين ذاك أجمع الروم على تنصيب نيقيفور لوجديط القبدوقيّ ملكاً . فسمعت ايريني الملكة وأمرت ان يسلّوا عينيه لكنّ أطيس أنقذه من دهائها . وعند ذاك اجتمع نيقيطا البطريق بالبطريرك وشاورا مجلس الحكومة واتفقوا قاطبةً على المناداة بنيقيفور ملكاً في السنة ١١١٩ لليونان (٨٠٣ م) وقد أحسن نيقيفور معاملة الملكة ايريني وأطيس الحاجب وأغمض عنهما . غير انهما اضمرا ان يقتلاه على يد بعض الرهبان. وما ان انجلت الخديعة لنيقيفور حتى نفى ايريني الى اثينا وترهبت هناك وعاقب أطيس بما استحقه . ولم يمسّ الرهبان بأذى .

وكان هرون الرشيد يومئذٍ منصرفاً الى بنيان مدينة زبطرا بارمينية الصغرى عند ملطية . فزحف سطوريقس قائد جيش الروم الى بلد فيلوفونيسوس وكان في حوزة العرب منذ امدٍ مديد واحتلّه واقام فيه حامية وانقلب في غنيمة وافرة من العرب والغنم والخيل والبغال .

ويُحكى ان رجلًا يقال له جَبَلة كان ملكاً على العرب النصارى ثم أسلم على يد عمر بن الخطّاب وحضر معه في المسجد بيثرب . فتصدّى له رجلٌ من قبيلة فزارة ووطء برجله . فالتفت اليه جبلة وضربه وهشم أنفه . فرافعه الفزاريّ الى عمر فقال عمر لجبلة أرضِه او دعه يهشم أنفك : فقال جبلة : كيف يتيسّر لملكٍ مثلي ان يسمح لرجلٍ سوقةٍ بضربه ؟ قال عمر : ان كنتَ اكرم منه في الملك فانت مساوٍ له في الاسلام ، قال جبلة : أمهلني اذًا حتى الصباح لأعمل الروية في احد الامرين . ولمّا جنّ الليل نهض [١٣٢] جبلة واصحابه وانهزموا الى قبدوقية وتنصّروا ثانيةً . ومن جبلة هذا يتسلسل نيقيفور ملك الروم المشار اليه . وكان نيقيفور داهيةً حازماً وصائماً ومصلّياً . ولذا قال الفيدي المتسرّد المذكور لعبد الملك قائد الجيوش العربيّة : متى ملك نيقيفور أتى عنك ثوبك الناعم وتدرّع بالسلاح وتهيّأ للقتال . على انه ما كاد يملك نيقيفور حتى وجّه الوسائل الى هرون الرشيد يستفزّه للحرب . وظلّ القيصر والخليفة مدّة شهرين يتراسلان حتى صارا الى الموادعة وتبادلا الهدايا وعاد كلّ منهما الى بلده .

وفي هذا الزمان كان رجلٌ قرشيٌّ مسلمٌ اسمه رُوَيح . وكان بيته مجاورًا للكنيسة . وكان يضايق الكاهن ويزعجه وقت الصلاة ويطرح عليه من الكوّة كُرات من طينٍ . ولمّا كان يحدّق فيه يومًا وقت ذبيحة القدّاس شاهد في الطبق على مائدة الحياة حملًا مذبوحاً فانحدر الى الكنيسة وشاهد امام الكاهن خبزًا مكسورًا . فعاد الى الكوّة وحدّق ثانيةً فشاهد الحَمَل فجاهر حالًا بالنصرانية وترك بيته وقصد احد الاديار واصطبغ بالمسودية . ولمّا بلغ هرون الرشيد خبرُه استحضره ولاطفه ليعود الى الاسلام فأبى . فأوثقه وألقاه في السجن وظلّ سنتين كاملتين راسخاً في عقيدته . فأصدر الخليفة الأمر فجُزّ راسه بالسيف وعُلّق على سور الرافقة ورأى الكثيرون نورًا هابطاً عليه . ثم أحدره من السور رجل مسيحيّ من بلاد فارس ونقل جثمانه الى مدينته .

وفي تلك الفضون اقبل رجل رومي اسمه توما بن موسماد وزار هرون الرشيد مدّعياً انه ابن قسطنطين الملك . فرحّب به هرون كمن يرحّب بابن ملك .

وفي السنة ١١١٥ لليونان ( ٨٠٤ م ) اذ كان هرون الرشيد في بلاد العجم زحفت جيوش من الروم ضخمة وغزت بلد المصيصة وعين زربة . فانتصب عليها العرب واسترجعوا الغنائم . وسمع هرون فبادر الى الرقّة وغزا في نيسان مدينة هرقلية. فشدّ عليه نيقيفور ليناوشه . وما ان شاهد هرون جيوش الروم الضخمة حتى طلب الصلح وأطلق [ ١٣٣ ] جميع الأسرى الروم الذين في حوزته . ولمّا قرّر نيقيفور الهدنة تخلّى له هرون عن جميع خيامه ومدافعها ايضاً.

وفي السنة عينها ابتنى هرون مدينةً فوق الرقّة دعاها ايرقلية باسم امرأة أخذها من اهالي هرقلية. ولما اطمأنّ نيقيفور من محاربة العرب شيّد هو كذلك مدينة انقرة وغيرها بدلاً من طوانة وايرقلية اللتين احتلّهما العرب في عهده .

وفي السنة ١١١٩ لليونان ( ٨٠٨ م ) تفاقم الجوع في البهائم وجعلت تنبش قبور الموتى وتأكلهم وتهجم على الاحياء. فتفترس النساء والفتيان وهم يلتقطون الاعشاب خارجاً.

وعوّل هرون على الشخوص الى بلاد العجم ليحارب العصاة وعقد لابنه محمّد الولاية على بغداد ولابنه القاسم على سوريّة واستصحب ابنه المأمون الى خراسان وأسنى له الف درهم من الفضّة بدلاً من المُلك . ولما وصل الى مدينة طوس وبطش بالخارجيّ ادركه الأجل في السنة ١١٢٠ لليونان ( ٨٠٩ م ).

واشتهر في هذا الزمان بختيشوع بن جورجيس الطبيب العيلاميّ . وارسل الخليفة هرون الرشيد يستدعيه ليعالجه . ولمّا دخل الطبيب دعا الملك في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فابتهج الملك وانتدب سائر الاطبّاء ليباحثوا بختيشوع . فقال الطبيب عيسى ابو قُرَيش : تئق يا مولاي الملك بانه ليس فينا طبيب كفوء ان يحادث بختيشوع لانه قلّة تملوه وهو ووالده وأهله فلاسفة. ثم أمر الخليفة احد الحجّاب ليُحضر على السكت تفسرةَ بهيمة كي يمتحن بختيشوع هل يميّزها ام لا. ولمّا أُحضرت وشاهدها بختيشوع قال: انها ليست تفسرة بشر. فعارضه ابو قريش وقال له: كذبتَ. انها تفسرة احدى حظيات الملك. فاحتدّ بختيشوع وقال له : اياك اخاطب ايها الشيخ الوقور ان الانسان لا يبول هكذا . تبصر ان كنتَ تدري في لون التفسرة ومادّتها ورائحتها . فقال له ابو قريش : ما يكون طعام

من يكون هذا الماء. ماءه ؟ قال بختيشوع [ ١٣٤ ] طعامه شعير جديد حسن لم يأكله احد. فضحك الخليفة وأمر له بثياب وذهب كثير.

وخلف بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع ابنه جبرائيل واشتهر مثله بالطب وخدم هرون الرشيد. قبل ان احدى حظايا الخليفة الكرية لديه غطت يوماً ورفعت يدها فتشنجت وتعذر عليها ردُّها. وتعب الاطباء وهم يعالجونها بالادهان والتسريخ ولم يفيدوها. حينئذ أحضر الخليفة جبرائيل وقص عليه خبرها فقال له: ان لها عندي دواء ان كنتَ تُخرجها الى ههنا بحضرة الجمع فأصنع لها ما أرى دون ان تسخط عليّ فوافق الخليفة وأحضروها. وما ان رآها جبرائيل حتى أسرع اليها وأمسك اذيالها كمَن يريد ان يكشف سوءتها. اما الجارية فلشدة الحياء انقد جسمها حرارةً وعرقت واسترسلت أعضاؤها وبسطت يدها المشنجة الى اذيالها وأمسكتها لتستتر. وللحال تركها جبرائيل وقال للخليفة: لقد برئت. ثم بسطت الجارية يدها يمنةً ويسرةً. فدهش الخليفة وجميع الحاضرين وأمر لجبرائيل بخمسمائة الف فضة. ولما نهض جبرائيل سأله عن السبب فقال: ان خلطاً رقيقاً انصبَّ الى اعضائها وقت الغشيان وبما ان حركة الغشيان تسكن بغتة وتقف جمدت فضلة الخلط في بطون الاعصاب المحرِّكة لليد وما كان يحلها الا حرارة متوقدة تتأتى من تلك الحركة الاضطرارية. وكان راتب جبرائيل في السنة تسعمائة الف دينار. وبعد وفاة الرشيد قام بخدمة الامين ابنه حتى قُتل الامين فنهض بخدمة المأمون أخيه. غير ان المأمون حرد على جبرائيل في اوّل الأمر وابتزّ امواله كلها ثم رضي عنه وردَّ له كل ما اخذه منه وأحبه وأكرمه.

وان رجلاً نسطورياً زار مصر قال لجبرائيل: ان اليعاقبة كثيراً ما يسخرون بنسطور في مصر ويرجمون قبره ويدَّعون ان المطر لا ينحدر [١٣٥] عليه. فاستشاط جبرائيل سخطاً وحصَّل من الخليفة رسالةً الى صاحب مصر ليرسل اليه عظام نسطور في صندوق الى بغداد كي يدفنها في كنيسة كوكي (مقرّ جاثليق النساطرة). فاستدرك الأمر راهب نسطوري ليزيل العار عن ابناء ملّته ويفهمهن لهم انَّ الذي يسخر به اليعاقبة ويرجمونه ليس هو نسطور

فادّعى ان أحد الرسل القديسين ظهر له في الحلم ليلا وقال له: ان هذه الحكاية لا نصيب لها من الصحة وان عظام قسطور ليست في مصر ولا يعرف احد مكان قبره . فكفّ جبرائيل الطبيب عن نقل العظام من مصر .

## بعد هرون الرشيد محمّد امين ابنه

تولّى اربع سنين وسبعة شهور وأمر العمّال بالعدول عمّا باشره ابوه من بناء هرقلية . ونقل الى بغداد خزائن ابيه من الرقّة واموال المأمون اخيه وآنه من خراسان .

وفي السنة ١١٢١ لليونان ( ٨١٠ م ) نشم الأمين والمأمون يتحرّشان احدهما بالآخر . وكانت بداية الشر من الأمين لانه كان خالعاً وشرها ولم يؤدّ لاخيه المأمون ما ارصده له أبوه من المال بل ابتزّ امواله كلها وبعث يستدعيه بحيلة ليقبض عليه . فاستدرك المأمون الخديعة واستمرّ في مركزه . وظهر اذ ذاك طائفة من الخوارج نظير عمر الذي كان مسجونا في الرقّة بسبب افحاشه في القتل لمّا كان بسيناط . وفتك بحارس السجن وانهزم ثانيةً الى سيساط وفتك بالامير الذي سُجن بسببه . ونهب التجّار وحشد العسكر وجعل ينهب ويغزو ويقتل في فلسطين . ونازل كذلك جيشاً وجّهه اليه سليمان القائد . ومن الخوارج كذلك رجل اسمه ناصر ظهر في ارمينية واتفق مع عمر ونشّما يفتيان الناس .

ثم ان الأمين وجّه علياً القائد في ثلاثين الفاً ليبطشوا بالمأمون اخيه . فشعر المأمون وجهّز اربعة آلاف على رأسهم الظاهر . والتقى الجيشان عند نهر البليخ فانكسر عليّ وغرق اغلب عسكره في النهر .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان ( ٨١٢ م ) زحف نيقيفور ملك [ ١٣٦ ] الروم الى بلاد البلغار وحاصر عاصمتهم ودوّخها وأخربها وقتل خلقاً كثيراً وبانت منه الفظاظة حتى جعل يسطح الفتيان على الخشيب ويطأهم بالجرائر . وفي هذه السنة عينها قُتل نيقيفور قتله رجل رومي .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان ( ٨١٢ م ) اتّفق ناصر وعمر الخارجيّان وعبرا الجزيرة وجعل اصحابهما يقتلون دون شفقة ويسبون وينهبون ويفحشون في النساء

والمذاري والفتيان . وفيما كانا يحاصران حرّان كتب اليهما الرهاويّون ( العرب ) يقولون : إن أرسلتما من يدمّر كنيسة النصارى فانهم يضخّون باموالهم كلها حرصاً عليها . وكان سور الرها يومئذٍ قد سبق فقوّضه ابو جعفر . فهلع الرهاويّون كل الهلع وأوصوا بالصوم واعتكفوا على السهر والصلاة . فسمع الربّ طلباتهم وألهم شيخاً من العرب يقال له يحيى بن سعيد فخرج يريد مواجهة ناصر وعمر الخارجيّين واشار عليهما ان يعدلا عن قصدهما فلبّيا مشورة الشيخ وأدّى لهما الرهاويّون خمسمائة الف درهم ورحلوهما .

وفي رابع عشر ايّار تلك السنة انكسفت الشمس ساعتين وظهرت النجوم واضاء الاهالي السروج ثم لاحت الشمس ساعةً في المغرب.

وفي السنة ١١٢٤ لليونان ( ٨١٣ م ) دوّخ الخارجيّان ناصر وعمر بلاد طرسكيانا وزاباريا وباماريا وشاهدا في دير بظاهر قرية حديص راهباً جليلاً طلبا منه كلّ ما لديه ولدى غيره فألقاه اليهم . ثم ثاروا عليه واحرقوه واحرقوا صومعته . وبعد هذا سار عمر الى سيساط وابتنى قلعتها وتحصن بها . وانطلق ناصر الى سروج واضطرّ أهلها ان يؤدّوا له الجزية.

وفيما كان العرب يفعلون مثل تلك الافعال كان الروم كذلك يسيرون على خطتهم. ذلك انه لمّا قُتل نيقيفور وخلفه ابنه سطوريقي حمل البلغار بعد خمسة اشهر على قسطنطينية وأصابوا سطوريقي في فخذه ومات. وخلفه صهره ميخائيل سنةً واحدةً. وروى بعضهم ان اخته فرقوفيا سقته سمّاً ليخلفه ميخائيل زوجها. واغار البلغار على الروم ولم يزحف ميخائيل [ ١٣٧ ] ويقاتلهم. عند ذلك حملت النخوة لاون البطريق فبرز لقتال البلغار وبطش بهم وفتك بملكهم . وانقلب فقبض على ميخائيل وحلق رأسه وجعله في احد الاديار وخصى ابناءه وملك سبع سنوات ونصف سنة وعقد الصلح مع البلغار وتخلى لهم عن الملّاحة التي لاجلها حدث النزاع بين الدولتين.

وفي السنة ١١٢٥ لليونان ( ٨١٤ م ) استولى ناصر على بلدة راس كيفا وعلى سروج والكيسوم . وشيد ثلاثة اسوار في الكيسوم . وابتنى ابو شيخ اسوار الرها بنفقات اهاليها . واحتلّ عبدالله بن هشام مدينة حرّان وتولّى عمر

مدينة تلّ موزل وحبيب رأس العين وعبدالله ماردين وعبّاس قورس وعنّان قنسرين وانطاكية وافاميا. وابتنى ثابت بابّين في ثغور قيليقية واقام فيها حامية ليكون بلد قيليقية ملاذًا للمضطهدين والمساكين.

امّا الحُسين القائد فأضمر الانتقاض على الامين الخليفة وقال للعجم : ان الامين يعضد العرب ويعاديكم . ثم ثار على الامين في فريق من العجم وأوثقه وزجّه في السجن ثم خرج وجلس على جسر بغداد واستدعى الجنود ليحالفوا المأمون . اما الامين فأرسل من سجنه الى الحسين يُقسم له ويلتمس منه ان يعطيه أمواله ويشفق على حياته . فتوجّع الحسين والعجم وأطلقوه وردّوه الى كرسيه. وحلف الامين للحسين انه يغفر له زلته ودفع له نفقاته . لكنّ الحسين لم يثق به فانهزم يريد هرثمة ورئيس قوّاد المأمون.

امّا ناصر الخارجيّ فكتّب العرب القيسيين كافةً واقبل بهم الى الرقّة وحلّوا في دور النصارى وضايقوهم في استنزاف ما يقوم بنفقاتهم الوافرة . ثم زحفوا الى الرافقة وحاصروها وكان مقيمًا هناك يومئذٍ البطريرك قرياقس ( ٧٩٣ — ٨١٧ ) وثيودوسيوس مطران الرها . واشتدّ الغلاء حتى أكل الناس خبز الرزّ والبقول. ثم عقد ناصر الصلح كيفما كان لانّ عساكر الكوفة احتلوا الرقّة واستولى العجم على الرافقة.

ولمّا رأى المأمون ان الكثيرين انتقضوا على الامين [ ١٣٨ ] اخيه وجّه القائدَين هرثمة والظاهر الى بغداد. فانقسم البغداديّون شطرين وساد الاضطراب كلّ المدينة . وجعلوا يدخلون الخزائن الملكية وينهبون الذهب والامتعة ويتقاتلون عليها . وأفضى بهم الأمر الى تحطيم أعمدة الكنائس واتخاذ حجارتها للمنجنيقات لان بغداد خالية من الحجارة. عند ذلك بعث الامين الى هرثمة يستحلفه حفظًا لحياته وامواله فحلف له . فسخط الظاهر وانتقى حرّاسًا ادركوا الامين ليلًا وهو منهزم في قارب . فألقى بنفسه في النهر وسبح حتى وصل الى بيت ضيق واختفى فيه فلقيه الجند وفتكوا به وعلّقوا هامته في رمح وطافوا بها في بغداد يوم الاحد خامس محرّم عام ١٩٨ للهجرة ( ٨١٣ م ).

( له صلة )